الطبعة الرابعة
2013



صلاح أبو دية



Ibn
دار ابن النفيس

سليمان القانوني

مرارة الواقع.. ودراما كاذبة

دار ابن النفيس للدعاية والنشر والتوزيع
ص ب :3111 حولي -32032 الكويت
هاتف وفاكس : 0096522631231 - 0096597914680
email:salahabudayah@hotmail.com

الطبعة الرابعة مارس 2013

رقم الإيداع : 2013 / 3752
ترقيم دولي : 3 - 10 - 5051 - 977 - 978

سليمان القانوني

مرارة الواقع.. ودراما كاذبة

@iAbubader

تقديم

حريم السلطان.. مسلسل تركي شغل العرب وملأ أوقات راحتهم وسهراتهم؛ بل وأحاديثهم الأسرية والاجتماعية، وانشغلت به كذلك الصحافة العربية عمومًا، وزاد الهوس عند رجال ونساء العرب، كل حسب ما يحب، فالرجال يعشقون النساء والجمال، والنساءتعشق الأزياء والرومانسية، وكل يبرر أو بالأحرى يواري عشقه بادعاء أن المسلسل تاريخي.

إذا كان المسلسل تاريخيًا بحق؛ فماذا قال عنه الأتراك في صحفهم؟ وماذا قال في حقه رجب طيب أردوغان؟ وما عدد الشكاوى التي قدمت ضده؟ وهل ينقل المسلسل صورة حقيقية عن واقع حياة أعظم سلاطين العثمانيين؟

إن اللافت في أثناء جمع مادة هذا الكتاب؛ هو اللغط والتضارب والاختلاف بين المصادر التاريخية حول أصول "روكسلانة" أو هويام في مسلسل "حريم السلطان" فهناك من يسيء إلى أصولها إلى التسفيه والتحقير، وهناك من يؤكد نبل أصلها وحسن إسلامها وقيامها بالعديد من الاعمال الخيرية والأوقاف التي لاتزال قائمة حتى الآن في بعض البلدان العربية.

لكن ما لم تختلف عليه المصادر؛ هو أن السلطان سليمان القانوني، أطول سلاطين الدولة حكمًا، وأكثرهم فتحًا للبلاد، وأفضلهم تأسيسًا لنظام إمبراطوري وقانوني سليم، وأشدهم تمسكًا بتطبيق الشريعة، إلى جانب أنه يميل إلى السلم ما دام الأمر متاحًا.

في أثناء إعداد هذا الكتاب وجمع مادته؛ كان هناك اختلاف في المصادر حول أصول "روكسلانة" أو " في هويام" في مسلسل "حريم السلطان"، فبعض المؤرخين أرجع أصولها إلى يهود روسيا، والبعض أرجع أصولها نصارى أوكرانيا وأنها ابنة قسيس، لكنها في الحالتين أسلمت.

ولأن ما أثار هذا الاهتمام بسليمان القانوني هو مسلسل "حريم السلطان"؛ فآثرت أن أبدأ بتاريخ سلاطين الدولة العثمانية ونهجهم في الحكم، ثم تناول فترة حكم السلطان "سليمان القانوني" بشيء من التفصيل، وكذلك زوجته روكسلانة.

وفي الباب الثاني تناولت أمر المسلسل "حريم السلطان" وما كتبته عنه الصحافة والنقاد، لتتبلور في النهاية صورة مفادها أن أمراض المجتمع التركي هي أمراض مجتمع الشرق الأوسط عامة، فقط تنظر شعوب هذه المنطقة إلى الآخر بنوع من التبجيل والتقدير حتى ولو كان يجاورها، وينتمي إلى الخلفية الثقافية نفسها.

الباب الأول

قصة الخلافة العثمانية البداية والنهاية (١)

الفصل الأول

الدولة العثمانية.. التأسيس والبدايات



درع الدولة العثمانية



السلطان الغازي عثمان الأول (٦٩٩ - ٧٢٦هـ)

توفي أرطغرل سنة ٦٨٧هـ، وتولى عثمان مكانه؛ فبدأ يوسع أملاك القبيلة بموافقة علاء الدين" أمير القرمان، وفي سنة ٦٩٩هـ.. أغار المغول على إمارة القرمان، ففر من وجههم "علاء الدين" إلى بلاد بيزنطة ومات في هذا العام، وتولى من بعده ابنه "غياث الدين" ثم قتل المغول غياث الدين، فأفسح ذلك المجال لعثمان لكي يستقل بما تحت يديه من أراضٍ ويقيم الدولة العثمانية التي نسبت لاسمه، واتخذ لها عاصمة هي مدينة "يني شهر".. أي المدينة الجديدة (إسكي شهر سابقًا)، واتخذ راية له هي علم تركيا حتى الآن، ودعا عثمان أمراء الروم في آسيا الصغرى إلى الإسلام.. فإن أبوا فعليهم أن يدفعوا الجزية، وإن رفضوا فالحرب، فخشوا على أملاكهم منه واستعانوا بالمغول عليه.

غير أن "عثمان" قد جهز جيشًا بإمرة ابنه الثاني "أورخان"، وسيّره لقتال المغول، فشتت شملهم؛ ثم عاد وفتح مدينة "بورصة" عام ٧١٧هـ، وأمّن أهلها وأحسن إليهم فدفعوا له ٣٠.٠٠٠ من عملتهم الذهبية، وأسلم حاكمها "أفرينوس"، وأصبح من القادة البارزين، ثم توفي عثمان في عام ٧٢٦هـ، وقد عهد لابنه "أورخان" بالحكم بعده، ودفن بمدينة بورصة التي أصبحت مدفن العائلة العثمانية بعد ذلك.

وقد اتخذ السلطان "عثمان" لنفسه شعارًا يسير عليه هو "إما غازٍ وإما شهيد"، وقد تبعه في ذلك الكثيرون من سلاطين الدولة العثمانية.



السلطان الغازي أورخان الأول (٧٢٦ - ٧٦١هـ)

على الرغم من أنه الابن الثاني لعثمان؛ فإن أباه قد أوصى بالحكم إليه من بعده، لاتصافه بعلو الهمة والشجاعة، بينما لم يوصِ لابنه الأكبر "علاء الدين" لميله للعزلة والورع، ولم يخالف علاء الدين الوصية؛ فقدّره أخوه أورخان وسلمه الأمور الداخلية، وتوجه أورخان لتوسيع رقعة الدولة والأعمال الخارجية، ونقل أورخان عاصمة البلاد إلى مدينة بورصة.

الإصلاحات الداخلية ووضع نظام للجيش:

سك علاء الدين لدولته عملة من الفضة والذهب، ووضع نظامًا للجيش وجعل الجيوش دائمة الاستعداد؛ إذ كانت الجيوش قبل ذلك لا تُجمع إلا وقت الحرب وتُصرف بعدها، وخشي من تحزب كل فريق من الجند للقبيلة التابع إليها؛ فأشار عليه (قرة خليل)، الذي صار وزيرًا بعد ذلك باسم "خير الدين باشا" بأخذ الأطفال المشرّدين والأطفال الذين فقدوا آباءهم في الحرب من الروم.. وتربيتهم تربية إسلامية وتدريبهم على فنون القتال في ثكنٍ عسكرية؛ كيلا يعرفوا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله.. ولا سيدًا لهم إلا السلطان، فمن جهة يحمونهم من التشرد والانحراف والضياع، ومن جهة أخرى يدخلون في الإسلام ويكونون درعًا واقية ضد أعدائه، وأُطلق عليهم "يني تشري" أي "الجيش الجديد"، وحُرفت بالعربية لتكون "إنكشارية"، وصار هذا الجيش قوة كبيرة ساعدت في مد الفتوحات العثمانية في أوروبا، وهذا ما أثار نصارى أوروبا وبلغ حقدهم الصليبي أوجه؛ حينما تمثلت أمامهم حقيقة أن هذا الجيش يمثل

أبناءهم الذين لم يكتفوا باعتناق الإسلام؛ بل تحولوا لقتالهم وفتح بلادهم، وعكف المؤرخون النصارى على تشويه صورة "الإنكشارية" في التاريخ، واتهموا الدولة العثمانية بأخذ الأطفال من آبائهم قهرًا وإجبارهم على اعتناق الإسلام، وهذه إحدى الافتراءات على العثمانيين.

ومع توارد السلاطين في الدولة العثمانية؛ ظهر منهم الضعفاء الذين سمحوا للإنكشارية بالتدخل في شئون الحكم، وأدى ذلك إلى زيادة نفوذهم في الحكم وتحولهم إلى طريق الفساد والهزيمة.. حتى قُضي عليهم سنة ١٢٤٢هـ في عهد الخليفة محمود الثاني.

كما اهتم أورخان بإعمار البلاد، ففتح المدارس وسن الأنظمة اللازمة ليستتب الأمن داخليًا، وأكثر من بناء المساجد والتكايا (جمع تكية)، وأجزل العطايا للعلماء والشعراء.

فتوحات أورخان (الشئون الخارجية):

واصل أورخان فتوحاته، ففتح "أزمير" و"أزنيق" وإمارة "قرة سي" التي مات حاكمها فاختلف ولداه، فضمها أورخان كي لا تقع فريسة بيد الروم (كلها مناطق في الأناضول)، وكان أورخان إذا فتح مدينة عامل أهلها باللين والرفق، ولم يعارضهم في إقامة شعائر دينهم، وأذن لمن يريد الهجرة بأخذ جميع منقولاته وبيع عقاراته.

الزواج من الأجنبيات:

في عام ٧٥٦هـ طلب إمبراطور بيزنطة "يوحنا الخامس" من السلطان أورخان مساعدته ضد إمبراطور الصرب "أصطفان دوشان"، الذي تحالف مع البندقية والإمارات الصربية للهجوم على القسطنطينية، على أن يزوجه بابنة الوصي على العرش "يوحنا كانتا كوزين"، التي أختها زوجة لإمبراطور بيزنطة.. أي يصبح عديلًا للسلطان،

ووافق أورخان.. لكن أصطفان قد أدركه الموت والجنود العثمانية في الطريق؛ فعادوا إلى بلادهم وتمت الزيجة.

في هذه الفترة؛ كان زواج السلاطين من الأجنبيات النصارى قد انتشر بصورة كبيرة في عهد الدولة العثمانية، فقد سبق لعثمان الأول الزواج من مسيحية من "فليقيا" وسبق لــ"أورخان" الزواج من فتاه يونانية مسيحية، وتبعهم الكثير من السلاطين العثمانيين في ذلك، وكان ذلك من سلبيات الدولة العثمانية؛ إذ تمسك كثير من الزوجات النصرانيات بدينهن، واستغللن مناصبهن "زوجة للسلطان" في التعصب لأبناء جلدهن، ومن على دينهن من رعايا الدولة العثمانية.

التوجه نحو أوروبا:

لاحظ أورخان ضعف الدولة البيزنطية، وانكماش رقعتها؛ فقرر النزول إلى الشاطئ الأوروبي وفتح الأراضي التي تقع غرب القسطنطينية.. تمهيدًا لفتحها، إذ كان المسلمون قد حاولوا فيما سبق فتحها من جهة الشرق؛ لكنهم فشلوا، فانطلق ابن أورخان الكبير "سليمان" مع أربعين من رجاله الأبطال، وعبروا للشاطئ الأوروبي، واستولوا على الزوارق هناك، ثم عادوا إلى الشاطئ الشرقي؛ إذ لم يكن لدى الدولة أسطول في ذلك الوقت، ثم انطلقوا مرة أخرى إلى الشاطئ الأوروبي فاتحين، فسيطروا على قلعة "تزنب" و"شبه جزيرة غاليبولي" ذات القلاع المهمة، وبها تحكموا في مضيق" الدردنيل".

في عام ٧٦٠هـ؛ توفي "سليمان" ولي العهد والقائد الفذ.. نتيجة سقوطه عن جواده، وفي العام الثاني.. توفي "أورخان" وتولى الحكم ابنه الثاني مراد الأول.



السلطان الغازي مراد الأول (761 - 791هـ)

الشئون الخارجية في الأناضول:

كانت سياسة مراد الأول الخارجية متمثلة في توسيع رقعة الدولة العثمانية، سواء من جهة الأناضول أم من جهة أوروبا، ولأن جهات الأناضول تحتوى على إمارات مسلمة؛ فقد حاول بقدر الإمكان ضمها بالطرق السلمية ـــ كما سنرى، مثل مصاهرة الأمراء؛ وذلك لأنه أراد توحيد المسلمين لمنازلة أعداء الإسلام؛ ولأن الجيش المسلم كان شديد الحماسة للجهاد في أوروبا، أما في الأناضول؛ فكان الجيش قليل الحماسة.. حتى قيل إن الجنود كانوا يساقون للقتال في الأناضول.

عندما تسلم السلطان مراد الأول الحكم واجه عداوة أمير القرمان "علاء الدين"، الذي استنهض همم الأمراء المستقلين في الأناضول لمحاربة الدولة العثمانية، فأعد السلطان "مراد الأول" جيشًا استطاع به دخول" أنقرة" عاصمة إمارات القرمان، واضطر "علاء الدين" أن يتنازل عن أنقرة للعثمانيين؛ حتى يحافظ على بقية أملاكه وتزوج السلطان ابنة علاء الدين.

ومع ذلك؛ لم تبرد نار الحقد في قلب الأمير "علاء الدين"، وانتظر الوقت المناسب حتى يعاود الكرة في الهجوم على الدولة العثمانية، حتى إذا أعد العُدَّة واتحد معه بعض

الأمراء المستقلين في الأناضول، وقاموا بحرب ضد الدولة العثمانية في سنة ٧٨٧هـ، فأرسل لهم مراد الأول جيشًا انتصر عليهم في "سهل قونية"، وأسر الأمير "علاء الدين" غير أن ابنته قد توسطت له عند السلطان فعفا عنه، وأبقى له إدارته ولكنه فرض عليه مبلغًا من المال سنويًّا.

زوّج السلطان الغازي مراد الأول ابنه "يزيد" من ابنة أمير "كرميان"، فقدم الأب مدينة "كوتاهيه" لابنته، فضمت إلى الدولة العثمانية وفي عام 782هـ؛ ألزم أمير دويلة الحميد بالتنازل عن أملاكه للدولة العثمانية.

في أوربا:

وفي عام 762هـ؛ فتح العثمانيون مدينة "أدرنه" في الجزء الأوروبي، ونقل "مراد" إليها عاصمته؛ لتكون نقطة التحرك والجهاد في أوروبا، وقد ظلت عاصمة للعثمانيين حتى فتحوا القسطنطينية عام 857هـ.

كما تم فتح مدينة "فليبه" (جنوبي بلغاريا اليوم) و"كلجمينا" و"وردار"، وبذلك صارت القسطنطينية محاطة بالعثمانيين من كل جهة في أوروبا.

وخاف أمراء أوروبا الذين يجاورون العثمانيين من المد العثماني، فكتبوا إلى البابا يستنجدونه، وذهب إمبراطور القسطنطينية إلى البابا، وركع أمامه وقبل يديه ورجليه، وطلب منه الدعم، برغم أن الإمبراطور على المذهب الأرثوذكسي والبابا على المذهب الكاثوليكي، وهما شديدا الاختلاف والعداوة، ولكنهما ضد الإسلام يتحدان، فلبى البابا النداء وراسل ملوك أوروبا، يطلب منهم الاستعداد لشن حرب صليبية جديدة لوقف المد الإسلامي في قلب أوروبا، ولم ينتظر ملك الصرب (أورك الخامس) دعم البابا، وانطلق في اتجاه "أدرنه" هو وأمراء البوسنة والأفلاق (جنوبي رومانيا) وأعداد من فرسان المجر المرتزقة، الذين رحبوا بالإغارة على العثمانيين، مستغلين انشغال السلطان ببعض حروبه في الأناضول. غير أن الحامية العثمانية في أوروبا اصطدمت بهم على نهر

"مارتيزا" الذي يمر بـ"أدرنه"، وهزمتهم هزيمة منكرة في "معركة مارتيزا" فولوا الأدبار، وخشيت إمارة "راجوزة" الواقعة على سواحل "دلماسيا" المطلة على البحر الأدرياتيكي من قوة العثمانيين، فأبرمت صلحًا مع الدولة العثمانية تدفع بموجبه جزية سنوية قدرها 500 دوكًا ذهبًا.

اتفق ملك الصرب "لازار بلينا نوفيتش" وأمير البلغار "سيسمان" على قتال العثمانيين، ولكن بعد مناوشات خفيفة مع العثمانيين؛ أدركوا مدى ضعفهم مقارنة بالعثمانيين، فاضطروا إلى دفع جزية سنوية وتزوج السلطان بابنة أمير البلغار.

ونتيجة لتأخر الصرب والبلغار في دفع الجزية؛ اندفعت إليهم الجيوش العثمانية، ففتحت بعض المدن الصربية في جنوبي "يوغوسلافيا" اليوم، وتمكنت من فتح مدينة "صوفيا" عام 784هـ، بعد حصار ثلاث سنوات، وتم فتح مدينة "سالونيك" المقدونية التي تقع في اليونان الآن.

حرم إمبراطور بيزنطة يوحنا (الخامس) "باليولوج" ابنه "أندرونيكوس" من ولاية العهد؛ لأنه اتحد مع "ساوجي" بن السلطان مراد الذي أعلن التمرد على أبيه، فأرسل السلطان لهم جيشًا قتل ساوجي وراسل السلطان الإمبراطور البيزنطي الذي قتل بدوره أندروبيكوس أيضًا.

واقعة قوص أوه (كوسوفو) 791هـ:

استغل الصرب انشغال العثمانيين بمحاربة الأمير "علاء الدين" في الأناضول، وقاموا بهجوم على الدولة العثمانية، واستطاعوا أن يحققوا بعض الانتصارات في جنوب الصرب؛ مما شجع أمير البلغار و"سيسمان" للهجوم على الدولة العثمانية، ولكن الجيوش العثمانية داهمته؛ ففر إلى الشمال واعتصم في مدينة "نيكوبلي" في شمال بلغاريا، وجمع ما بقي من جيوشه وهجم على القوات العثمانية؛ فهُزِم شر هزيمة ووقع أسيرًا، ولكن السلطان أحسن إليه وأبقاه أميرًا على نصف بلاده، وضم النصف الآخر للدولة العثمانية، ولما علم ملك الصرب بما لحق بـ"سيسمان"؛ انسحب بجيوشه إلى الغرب،

فأدركته الجيوش العثمانية والتقت معه في موقعة "قوص أوه" أو "سهل كوسوفو" (إقليم حصل على الاستقلال عن يوغوسلافيا الآن وتسكنه أكثرية ألبانية مسلمة)، وكان القتال سجالًا بين الطرفين.. حتى انحاز صهر الملك "لازار" إلى جانب المسلمين بفرقته البالغ قوامها 10000 مقاتل؛ فانهزم الملك "لازار"، وقتله المسلمون بسبب ما فعله من أفاعيل دنيئة بأسرى المسلمين.

وبينما يتفقد السلطان مراد الأول القتلى الصرب؛ قام إليه جندي صربي من بين الجثث وطعنه بخنجره فصرعه، وقتل الجنود العثمانيون الصربي على الفور.

في الليلة التي سبقت يوم المعركة..كان السلطان مراد قد دعا بدعاء هو:

"يا إلهي، إنني أقسم بعزتك وجلالك أنني لا أبتغي من جهادي هذه الدنيا الفانية، ولكني أبتغي رضاك ولا شيء غير رضاك.. يا إلهي، قد شرفتني بأن هديتني إلى طريق الجهاد في سبيلك، فزدني تشريفًا بالموت في سبيلك".

الشئون الداخلية في عهد مراد الأول:

نظمت فرقة الخيالة التي عرفت بـــ"سيباه" أو "السباهية" أو "الفرسان"، ليُعطى كلُ فارس جزءًا من الأرض إقطاعًا له. والمقيمون في هذه الأرض مسلمون كانوا أم نصارى يدفعون له خراجًا في وقت السلم، ويجهزونه بقدر المستطاع وقت الحرب ويجهزون جنديًّا آخر معه، ورغم الخدمات التي قدمها هذا النظام في بداية الأمر؛ فإنه جعل الجنود أصحاب نفوذ، وتسلط الكثير منهم على الموجودين بالأرض؛ فنقموا عليهم وبالتالي على الحكم.



الصاعقة

السلطان الغازي بايزيد الأول (791 - 804 -هـ)

تسلم الحكم وهو يبلغ من العمر 30 عامًا، واشتهر بدوام الجهاد والحماسة الشديدة للإسلام حتى لقب باسم (يلدرم)، أي "الصاعقة"؛ لإقدامه وانقضاضه المفاجئ على العدو.

نشاطه في الأناضول:

في عام 793هـ ضم إمارات "منتشا" و"آيدين" و"صاروخان" من دون قتال، ولجأ أبناء حكامها إلى "قسطموني" عاصمة إمارة "أسفنديار"، كما فتح مدينة "الأشهر" آخر مدن الروم في غرب الأناضول، كما تنازل له أمير القرمان علاء الدين عن جزء من أملاكه بدلًا من ضياعها كلها.

واشتهر علاء الدين بالمراوغة والخيانة كما سبق في عهد السلطان مراد الأول، فاستغل انشغال السلطان "بايزيد" بالجهاد في أوربا وهاجم العثمانيين، واستطاع أن يسترد بعض الأراضي التي تنازل عنها، وأسر كبار القادة العثمانيين في الأناضول، فأسرع إليه (الصاعقة ــ بايزيد) فهزمه وأسره هو وولديه، وبذلك انتهت إمارة "القرمان"، ولحقتها إمارة "سيواس" و"توقات"، ثم شق طريقه إلى إمارة "أسفنديار" ملجأ الفارين من أبناء الأمراء، فطلب من أمير أسفنديار تسليم الأمراء الفارين.. فأبى، فانقض عليه "بايزيد" وضم بلاده إليه، والتجأ الأمير إلى "تيمورلنك" الذي سيرد ذكره بعد قليل.

جهاده في أوربا:

عين السلطان بايزيد الأمير أصطفان بن لازار ملكًا للصرب، وسمح له بالاستقلال مقابل دفع جزية سنوية، ومساعدته هو وجنوده في أي وقت يطلبهم، وتزوج السلطان "بايزيد" من "أوليفير" أخت "أصطفان".

اتجه إلى القسطنطينية عام 794هـ وحاصرها، فهو بذلك أول سلطان عثماني يحاصر القسطنطينية، وتركها محاصرة ثم انطلق إلى "الأفلاق"، وأجبر حاكمها على معاهدة يعترف فيها بسيادة العثمانيين على بلاده مقابل جزية يدفعها سنويًا.

ضم السلطان "بايزيد الأول" نصف بلاد "البلغار" المتبقي بعد موت ملكها "سيسمان"، وأسلم ابنه، فأخذه السلطان وجعله واليًا على "صامسون"، وبذلك أصبحت بلغاريا ولاية عثمانية.

دب الذعر في أوروبا من انتصارات الدولة العثمانية، واستغاث ملك المجر بالبابا ونصارى أوروبا؛ فأعلن البابا قيام حرب صليبية على العثمانيين، واستجاب له دوق بورغونيا (تقع في شرق فرنسا) وأمراء النمسا وبافاريا (جنوب ألمانيا) وفرسان القديس يوحنا، الذين أخرجوا من عكا ثم إلى قبرص ثم رودس فمالطة، وسار الجميع في عام 798هـ وحاصروا مدينة "نيكوبلي" شمال بلغاريا، ووصل جيش العثمانيين وكان بقيادة أمير الصرب "أصطفان"، ومعه كثير من النصارى الخاضعين للدولة العثمانية والجنود العثمانيين، والتقى الجمعان وهزم الجيش الصليبي هزيمة منكرة، وأسر الكثير من أمراء أوروبا في هذه المعركة، منهم "دوق بورغونيا" الذي فدى نفسه بفدية كبيرة وأقسم للسلطان "بايزيد" ألا يقاتله أبدًا مادام حيًا؛ فرد عليه "بايزيد" بقولته الشهيرة:

(إني أجيز لك ألا تحفظ هذا اليمين، فأنت في حل من الرجوع لمحاربتي؛ إذ لا شيء أحب إليّ من محاربة جميع مسيحيي أوروبا والانتصار عليهم).

وبعد هذا الانتصار؛ دفع إمبراطور بيزنطة 10000 دينار ذهبية مقابل فك العثمانيين للحصار المفروض على القسطنطينية، وسمح للمسلمين ببناء مسجد لهم فيها.

الحرب مع تيمورلنك وتجزؤ الدولة العثمانية

ما سبق كان أشبه بالحلم الجميل؛ الذي تحول إلى كابوس بسبب "تيمولنك".

يأتي ذكر هذا الكابوس المفزع مع قدوم الهجوم الشرس الذي يشنه "تيمورلنك" من الشرق على الأمصار الإسلامية، و"تيمورلنك" ينتسب للإسلام اسمًا فقط، وقد جعل منه أعداء الإسلام سلاحًا من أسلحتهم المتعددة، يشوهون به الإسلام والإسلام بريء من أفعاله.

عندما وصل "تيمورلنك" إلى بغداد وخرّبها عن آخرها؛ فرّ أميرها إلى السلطان "بايزيد"، فأرسل إليه "تيمورلنك" يطلب تسليم الأمير الفار، فرفض السلطان "بايزيد"؛ فانطلق "تيمور" إلى الدولة العثمانية ودخل مدينة "سيواس"، وقتل الأمير "أرطغرل بن السلطان بايزيد الأول"، وأخذ يتوغل في الدولة العثمانية حتى التقى جيشه البالغ قوامه 80.000 مع الجيش العثماني البالغ 150.000 في أنقرة سنة 804هـ، واستمرت المعركة من قبل شروق الشمس إلى ما بعد غروبها، ولكن في أثناء المعركة؛ انضمت من جيش السلطان "بايزيد" فرق "آيدين" و"منتشا" و"كرميان" و"صاروخان" إلى "جيش تيمورلنك"، فانهزم السلطان "بايزيد" ووقع هو وابنه "موسى" في الأسر، واختفى ابنه "مصطفى" وفرّ أبناؤه "سليمان وعيسى ومحمد"، وحاول السلطان "بايزيد" الفرار 3 مرات، ولكنه فشل فشلًا ذريعًا؛ فأصابه الحزن الشديد من الإهانة التي لحقت به، وتوفي في عام 805هـ وقيل إنه انتحر.

استولى "تيمورلنك" على بقية أراضي الدولة العثمانية في الأناضول، ولم يتركها إلا وقد عادت الإمارات التي كانت موجودة فيها قبل أن تضمها الدولة العثمانية إلى التجزؤ من جديد.

وانتهزت الولايات الأوروبية التي تحت الحكم العثماني ما حل بالدولة؛ فأعلنت استقلالها، وهي البلغار والصرب والأفلاق؛ فانكمشت الدولة العثمانية.

ومما زاد الدولة تمزقًا؛ تنازع أبناء السلطان "بايزيد" على السلطة، فاستقل "سليمان" بالجزء الأوروبي من الدولة العثمانية بما فيه مدينة "أدرنه"، وعقد حلفًا مع "عمانويل الثاني" إمبراطور بيزنطة ليساعده ضد إخوته، وأعطاه في سبيل ذلك مدينة "سالونيك" وبعض سواحل البحر الأسود، وتزوج من إحدى قريباته.

أما عيسى؛ فبمجرد وفاة أبيه أعلن نفسه سلطانًا في مدينة "بورصة".

وأما محمد، الذي كان مختبئًا في الأناضول؛ فحينما خف ضغط التتار خرج ومن معه من الجند يقاتل ما بقي من التتار، وتمكن من السيطرة على "توقات" و"أماسب"، واستطاع تخليص أخيه "موسى" من الأسر وسار لمحاربة إخوته.

انتصار "محمد" على إخوته وانفراده بالسلطة

استطاع "محمد" أن ينتصر على أخيه "عيسى" بعد عدة معارك بينهما، وقتل "عيسى"، ثم أرسل جيشًا بقيادة أخيه "موسى" لمحاربة أخيهما "سليمان"، ولكنه عاد يجر ذيل الخيبة وراءه، لم ييأس؛ فحاول "موسى" مرة أخرى الهجوم، واستطاع في هذه المرة أن ينتصر وقتل "سليمان" على أبواب "أدرنه" عام 813هـ.

اتجه "موسى" لتأديب الصرب على موقفهم أثناء الهجوم التتري، وحارب ملك المجر الذي حاول مساعدة الصرب وانتصر "موسى" عليه.

وأراد موسى أن ينفصل بالجزء الأوربي، وضرب الحصار على القسطنطينية؛ فاستنجد إمبراطورها بالأمير "محمد"، الذي أسرع فعقد حلفًا مع إمبراطور القسطنطينية، وملك الصرب ضد أخيه، وانتصر الحلف وقتل الأمير موسى وانفرد الأمير محمد بالسلطة.



السلطان الغازي محمد الأول (816 - 824 ــ هــ)

الشئون الخارجية:

كان لقتل السلطان محمد إخوته أثر في نفسه، فعاش معذب الضمير لقتله إخوته الثلاثة "عيسى وموسى وسليمان"، وقد انعكس ذلك في معاملة الآخرين، ويصبح جليًا هذا الأثر عندما انتصر على "أمير القرمان" وعفا عنه بعد أن أقسم له بالطاعة، ثم تمرد عليه مرة أخرى؛ فانتصر السلطان عليه مرة أخرى وعفا عنه، وأيضًا في انتصاره على "أمير أزمير" قرة جنيد، ثم عفا عنه وعينه حاكمًا لمدينة "نيكوبلي".

الشئون الداخلية:

أسس أحد القضاة ويدعى "بدر الدين" حركة يدعو فيها إلى مبادئ مشابهة للاشتراكية، وتبعه في ذلك الكثير؛ خصوصًا من أصحاب الديانات الأخرى، وأحس السلطان باستفحال أمره؛ فقاتله وانتصر عليه وقتله.

ظهور الأمير مصطفى بن السلطان بايزيد:

ظهر فجأة الأمير "مصطفى بن السلطان بايزيد" وأخو السلطان محمد ــ الذي كان قد اختفى مثلما ذكرنا آنفًا ــ وطالبه بالحكم فقاتله، وانضم إليه "قرة جنيد" ودخل إلى بلاد اليونان، ولكنه هزم؛ ففر إلى إمبراطور بيزنطة الذي رفض تسليمه إلى السلطان

محمد، ولكنه وعده بوضع أخيه تحت الإقامة الجبرية وخصص السلطان لأخيه راتبًا شهريًّا، وبرغم خيانة قرة جنيد فإن السلطان عفا عنه مرة أخرى.

مات السلطان محمد عام 824هـ، وأوصى لابنه "مراد" من بعده.

ولعلنا نلمس من الآن فصاعدًا إحدى سلبيات العهد العثماني، وهي قتل الإخوة لبعضهم تنازعًا على الملك، الذي سيظهر بصورة واضحة في السلاطين التالين.



السلطان الغازي مراد الثاني (824 - 855هـ)

تولى السلطة عام 824 وعمره لا يزيد على 18 سنة، وانتهج سياسة تنبني على إعادة السيطرة على إمارات الأناضول التي استقلت عن الدولة العثمانية في أثناء غزو "تيمورلنك"، حتى يوحِّد عددا كبيرًا من المسلمين ليكونوا قوة كبيرة تنطلق لفتح أوروبا،؛ لذلك؛ فقد أجل الفتوحات في أوروبا لحين استعادة إمارات الأناضول، فعقد هدنة مع ملك المجر مدتها خمس سنوات، ولكن ظهرت عدة مشكلات:

طلب إمبراطور بيزنطة من السلطان "مراد" عدم الهجوم على القسطنطينية، ولكي يضمن ذلك طلب من السلطان أن يسلمه اثنين من إخوته كرهينة، وهدد إمبراطور بيزنطة بإطلاق سراح "مصطفى" عم السلطان "مراد" إذا لم ينفذ شروطه، فرفضها؛ فأطلق سراح عمه "مصطفى"، وزوده بعشرة مراكب؛ فانطلق بها مصطفى لحصار مدينة "غاليبولي" على مضيق "الدردنيل"، فدخلها وترك فيها حامية، إلا أنه لم يتمكن من دخول قلعتها، وسار مصطفى نحو "أدرنه" وقتل القائد العثماني "بايزيد باشا"، وسار نحو ابن أخيه "مراد"، ولكن حدثت خيانة في صفوف قواده، ففر "مصطفى" إلى مدينة "غاليبولي"؛ حيث قُبض عليه وأُعدم.

وسارع السلطان "مراد الثاني" لينتقم من إمبراطور بيزنطة؛ فضرب الحصار على القسطنطينية عام 825هـ، ولكنه لم يتمكن من فتحها.

فتنة أخو السلطان:

استغل الأمير مصطفى أخو السلطان "مراد" انشغال السلطان بمحاصرة القسطنطينية؛ فقام بالتمرد عليه يدعمه أمراء الدويلات المستقلة في الأناضول، فاضطر مراد أن يفك الحصار عن القسطنطينية ويقاتل أخاه حتى هزمه وقتله.

فتنة قرة جنيد:

لم يؤثر عفو السلطان محمد الأول عن هذا الخائن مرتين؛ فقد أدمن الخيانة وبدأ يزاول هوايته في عهد مراد الثاني؛ فاستولى على إمارة "آيدين" وأعلن انفصاله عن الدولة، فوثب عليه الجيش العثماني وقتله.

نشاط السلطان مراد في الأناضول:

واصل السلطان مراد تحقيق هدفه الأول، وهو إعادة الإمارات التي استقلت عن الدولة العثمانية في الأناضول، فعقد صلحًا مع أمير القرمان.

وجد أمير "قسطموني" نفسه في موقف حرج، إذ كان يدعم الأمير "مصطفى" أخا السلطان مراد؛ فأسرع بالتنازل عن نصف إمارته للسلطان مراد وزوجه ابنته.

سيطر السلطان مراد الثاني على إمارات "آيدين، منتشا، وصاروخان، وإقليم الحميد"، و"كرميان" التي أوصى أميرها قبل موته بإلحاقها بالدولة العثمانية؛ إذ لم يكن له من يعقبه، وانتهت بذلك مشكلات الأناضول وأصبح السلطان متفرغًا للجهاد في أوروبا.

الجهاد في أوروبا:

من أكثر الحروب التي خاضها السلطان في أوروبا تلك التي خاضها مع ملك المجر، وكان المسلمون تارة ينتصرون وتارة ينهزمون.

بدأ القتال بين السلطان وملك المجر، وكان النصر للمسلمين؛ إذ عقدت معاهدة تنازل فيها ملك المجر عن أملاكه شرقي نهر الدانوب، الذي أصبح حدًّا فاصلًا بين الدولتين.

خشي أمير الصرب جورج برنكوفتش على ملكه؛ فعقد معاهدة مع العثمانيين تنازل فيها عن بعض المواقع للعثمانيين، وبمقتضاها يدفع جزية سنوية وتعهد بقطع علاقاته مع ملك المجر، وتزوج السلطان ابنته مارا.

استعاد السلطان مراد الثاني مدينة "سالونيك" التي آلت إلى البندقية عام 833هـ، واعترف أمير الأفلاق بالسيادة العثمانية عام 836هـ، واستطاع السلطان إخضاع بلاد الأرنئوط (ألبانيا) وسلم أميرها أبناءه الأربعة كرهينة للسلطان، وعندما مات الأمير عام 834هـ ضم السلطان أملاكه إليه، وما كاد السلطان يستعد لفتح القسطنطينية حتى عادت الدولة النصرانية إلى نقض العهود والتمرد، فقد عاد أمير الصرب "جورج برنكوفتش" إلى العصيان، فهاجمه السلطان وقتله، وفتح جزءًا من بلاد الصرب وحاصر "بلغراد" ستة أشهر، ولكنه لم يتمكن من فتحها، وأرسل السلطان جيشًا إلى إقليم ترانسلفانيا (الجزء الغربي من رومانيا حاليًا) الذي كان يتبع وقتها المجر، فهزم الجيش واستشهد قائده مع 20.000 من الجند، ثم أعاد الكرة مرة أخرى وأرسل جيشًا قوامه 80 ألفًا؛ فانهزم للمرة الثانية وأسر القائد العثماني عام 845هـ.

الدولة العثمانية في عهد مراد الثاني

استغل ملك المجر الهزيمتين الأخيرتين للجيش العثماني وسار بجيشه ومن انضم إليهم ـــ من ألمان، وفرنسيين، وبنادقة، وبولنديين، وجنوبيين، وصرب، وأفلاق ـــ إلى بلاد الصرب وانتصر على العثمانيين في ثلاث معارك متتالية، اضطر بعدها السلطان مراد لتوقيع معاهدة تنازل بمقتضاها عن الأفلاق للمجر، ورد للصرب بعض المواقع وقامت هدنة مدتها 10 سنوات، واختار السلطان أن يخلد إلى الراحة بعد هذه الحروب المتتالية وبعد وفاة ابنه الأكبر علاء الدين فذهب إلى ولاية آيدين في غربي الأناضول، وترك ابنه محمدًا الذي لم يبلغ من العمر 14عامًا لتولي السلطة.

تحالف صليبي جديد ضد المسلمين:

استغل البابا هزائم المسلمين الأخيرة وحث ملك المجر على نقض العهد مع المسلمين، وتنادى نصارى أوروبا بحرب صليبية جديدة ضد المسلمين، خصوصًا أن السلطان قد ترك الحكم لابنه الصغير قليل الخبرة في القتال.

موقعة وارنا (فارنا) 848هـــ:

جمع ملوك أوروبا جموعهم وهاجموا بلاد البلغار، وخرج لهم السلطان مراد من عزلته، وهاجمهم بجيش تولى قيادته بنفسه، والتقى الجمعان في مدينة "فارنا" البلغارية على البحر الأسود، فهزم الحلف الصليبي شر هزيمة، وقتل ملك المجر في المعركة، فاختل توازن الأعداء فهاجم السلطان معسكرهم وقتل مندوب البابا وترك مرة أخرى السلطان لابنه.

ثم اضطر السلطان للعودة مرة أخرى لتأديب الإنكشارية الذين استخفوا بابن السلطان الصغير، فشغلهم بالحرب في بلاد اليونان، إذ قسم الإمبراطور البيزنطي ملكه بين أولاده، فأعطى "جنا" القسطنطينية، وأعطى "قسطنطين" بلاد المورة (الجزء الجنوبي من اليونان).

تمرد إسكندر بك:

"إسكندر بك" هو أحد أبناء أمير ألبانيا الذين كانوا رهينة عند السلطان العثماني، أعلن إسكندر إسلامه واستغل انشغال السلطان بالحرب فهرب إلى ألبانيا، وطرد العثمانيين منها، فقاتله السلطان وانتصر عليه وأخذ منه بعض المواقع عام 851هـ، ثم اضطر لتركه لمحاربة المجريين في كوسوفو، وقد عرض السلطان عليه أن يسلمه حكم ألبانيا مقابل جزية سنوية يدفعها، ولكنه رفض، وبينما يستعد السلطان لمحاربته إذ وافته المنية.

معركة كوسوفو الثانية عام 852هـ:

للمرة الثانية يلتقي المسلمون في هذا السهل مع نصارى أوروبا، ولكن هذه المرة مع الجيش المجري، الذي أراد الانتقام لهزيمته في معركة "فارنا"، وانتصر المسلمون نصرًا عزيزًا على الجيش المجري.

توفي السلطان مراد الثاني في عام 855هـ، وتسلم السلطة ابنه محمد الثاني (محمد الفاتح).



السلطان بايزيد الثاني (886 - 918هـ)

اشتهر بالميل إلى السلم، ولم يكد يجلس على العرش حتى خرج عليه أخوه "جم"، ولقي السلطان في محاربته الكثير من العنت.. إلى أن اضطر إلى الفرار منه إلى مصر.

ولما كان يميل إلى السلم ولا يدخل الحروب إلا مدافعًا، وعظم في عهده أمر الأسطول العثماني حتى أصبح خطرًا يهدد الملك الأوروبي، فما لبث أن اشتبك مع أسطول البنادقة في موقعه هائلة هي فاتحة الانتصارات البحرية العثمانية، وفي عهده سقطت "غرناطة" آخر معاقل المسلمين في الأندلس؛ مما يدل على مدى تفرق المسلمين، وظهرت في عهده أيضًا دولة روسيا التي تمكن أميرها "إيفان الثالث" من تخليص "موسكو" من أيدي التتر المسلمين ومحاربتهم، وابتلاع بلادهم وإقامة الأفعال الوحشية فيهم، وبعث إلى السلطان بأول سفير روسي عام 897هـ. وفي عصر السلطان بايزيد الثاني.. اعترفت البغدان بالسيادة العثمانية، وقامت بدفع الجزية سنويًا.

سيطرة سليم الأول على الحكم:

كان جنود الإنكشارية لا يعجبهم انكماش "بايزيد" وضعفه، فالتفوا حول أصغر أبنائه "سليم"، الذي وجدوا فيه العقلية العسكرية القوية، وكان يحكم في ذلك الوقت إمارة "طرابزون"، وابنه "سليمان" في "كافا" عاصمة "القرم"، فسار "سليم" إلى ابنه في "كافا" وجمع جيشًا سار به إلى الولايات العثمانية في أوروبا، وحاول السلطان بايزيد تهديد ابنه بالقتل، لكنه تراجع وترك له حكم بعض الولايات الأوروبية عام 916هـ، فطمع سليم وسار إلى "أدرنه" وأعلن نفسه سلطانًا، فحاربه أبوه وانتصر عليه، ففر إلى

"القرم" ثم عفا السلطان عنه وأعاده إلى ولايات أوروبا، فلم يهدأ "سليم" إلا بعد أن جمع الإنكشارية وسار بها إلى إستانبول، وأرغم والده على التنازل عن الحكم، ثم سرعان ما مات السلطان "سليم" الأول.

الدولة العثمانية من مجرد دولة إلى مقر للخلافة الإسلامية



الخليفة سليم الأول (918 - 926هـ)

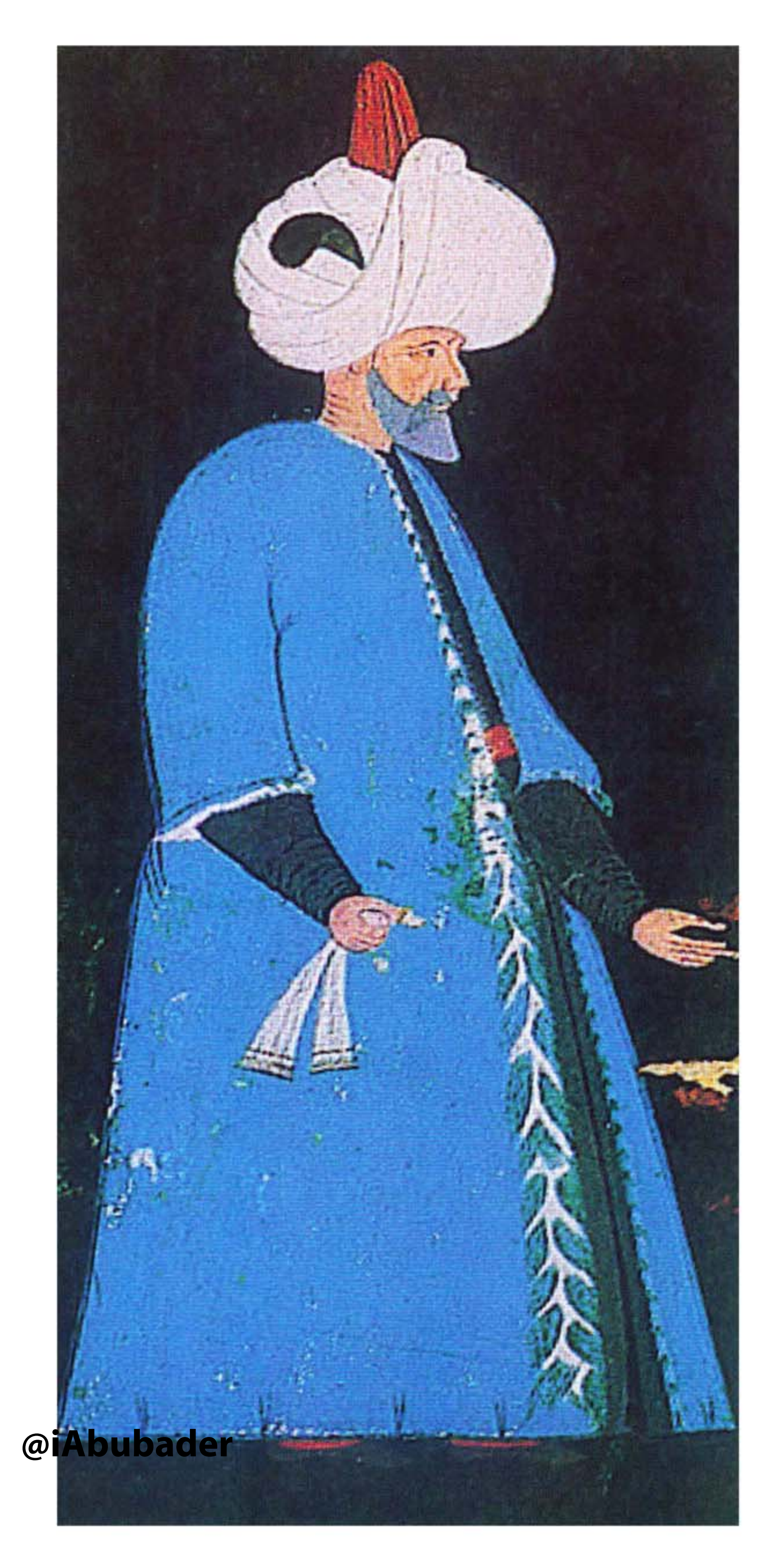
الاتجاه إلى توحيد العالم الإسلامي:

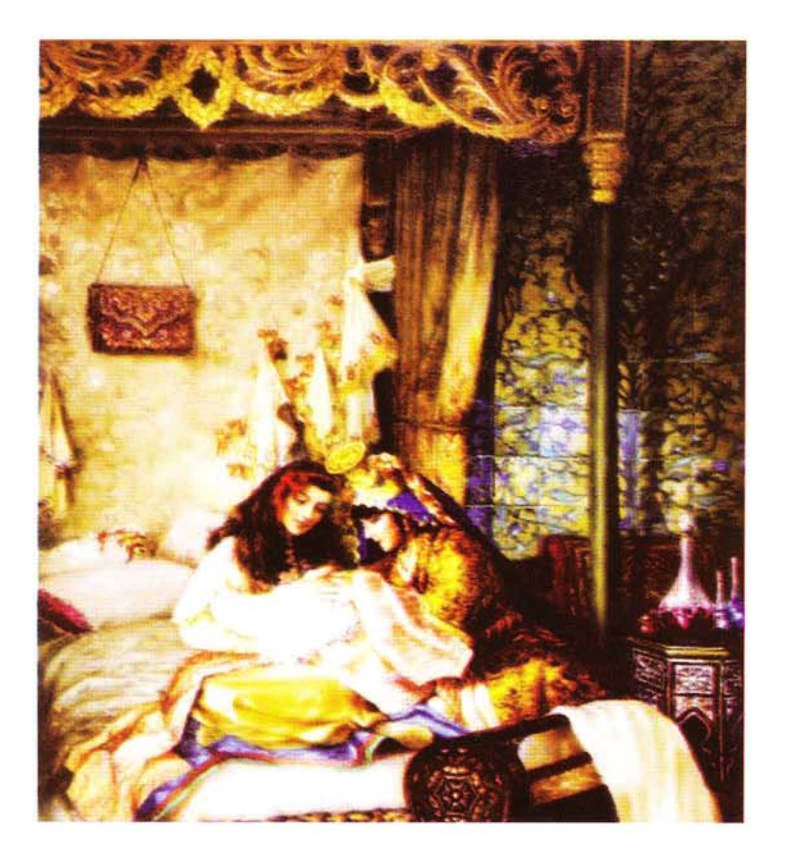
بهذه العقلية العسكرية والتسلط غير المحدود الذي يتمتع به السلطان سليم الأول، رأى أن يجعل كل همه في توحيد الأمصار الإسلامية الأخرى، حتى تكون يدًا واحدة ضد التحالف الصليبي الذي لا ينتهي في أوروبا ضد المسلمين، خصوصًا بعد سقوط الأندلس، التي لم يحاول إنقاذها أي مصر إسلامي قائم في ذلك الوقت.

ومما زاد رغبته في توحيد المسلمين؛ ما تردد وقتها من أن البرتغاليين احتلوا بعض المواقع في جنوب العالم الإسلامي، ليواصلوا طريقهم إلى المدينة المنورة وينبشوا قبر رسول الله ويساوموا المسلمين على القدس الشريف، وفي الوقت نفسه يتحرش الصفويون الشيعيون بالعثمانيين من الشرق، ويجبرون السكان السنيين الذين تحت أيديهم على اعتناق المذهب الشيعي، ويزحفون على العالم الإسلامي، بل ويعقدون حلفًا مع البرتغاليين أعداء الإسلام على المسلمين السنة بصفة عامة، وعلى العثمانيين بصفة خاصة.

الهجوم على الدولة الصفوية وموقعة جالديران:

ولم يضيّع السلطان سليم الأول الوقت، وأعد العدة لمنازلة الصفويين، وخشي في طريقه أن يعترضه السكان الشيعة الذين هم داخل الدولة العثمانية على الحدود المتاخمة







للصفويين؛ فأمر بقتلهم جميعًا، ثم سار مباشرة في اتجاه عاصمة الصفويين (تبريز)، وأراد الجيش الصفوي أن يخدع العثمانيين بالفرار من أمامه حتى يصاب الجيش بالإرهاق فينقضوا عليه، وحدث الصدام بين الجيشين في "جالديران" شرقي الأناضول عام 920هـ، وانتصر العثمانيون، وبعدها بعشرة أيام دخل السلطان "سليم الأول" مدينة "تبريز" واستولى على خزانتها، ثم اقترب فصل الشتاء ففترت عزائم الإنكشارية، فانتظر السلطان حتى انتهى فصل الشتاء ثم سار مرة أخرى في اتجاه الدولة الصفوية، واستولى على بعض القلاع في أذربيجان، ثم عاد إلى إستانبول وجمع ضباط الإنكشارية الذين فترت عزيمتهم وامتنعوا عن مواصلة الزحف عندما حل فصل الشتاء، فقتلهم جميعًا حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

الهجوم على المماليك:

ما إن انتهى السلطان سليم الأول من الصفويين؛ حتى أعد العدة للهجوم على المماليك الذين ضعف أمرهم في ذلك الوقت، ولم يحاولوا الوقوف في وجه البرتغاليين، بالإضافة للخلاف الثائر بين المماليك والعثمانيين على إمارة "ذي القادر" التي تقع على الحدود الفاصلة بينهما.

موقعة مرج دابق 922هـ:

استطاع السلطان سليم الأول جذب ولاة الشام في صفه لقتال المماليك، ووعدهم بالإبقاء عليهم في إماراتهم إذا ما تم له النصر، ثم سار بجيشه لملاقاة المماليك الذين بدورهم أعدوا أنفسهم لملاقاة العثمانيين، والتقى الجمعان في موقعة مرج دابق عام 922هـ، واحتدم القتال العنيف بينهما، فتسلل ولاة الشام بجيوشهم وانضموا للعثمانيين، فضعف أمر المماليك وهزموا وقتل في المعركة السلطان "قنصوه الغوري"، وبهذه المعركة أصبحت الشام في قبضة سليم الأول، أي ما يعادل نصف دولة المماليك، وغدت الأناضول بأكملها تحت سلطان العثمانيين.

موقعة الريدانية 923هـ:

تولى السلطان "طومان باي" مكان "قنصوه الغوري"، فعرض عليه السلطان "سليم الأول" أن يعترف بسيادة العثمانيين ودفع خراج سنوي لهم، فأبى طومان باي، فبرز إليه السلطان سليم؛ فانهزم طومان باي على حدود الشام الجنوبية، فتتبعه السلطان سليم حتى مدينة القاهرة، حيث التقى الجيشان في موقعة الريدانية وانتصر العثمانيون برغم الدفاع المستميت للمماليك، ووقع طومان باي في يد العثمانيين نتيجة لخيانة أحد أتباعه، فأعدموه على باب زويلة.

تسلم العثمانيين مقاليد الخلافة:

بانتهاء دولة المماليك تنازل الخليفة العباسي الأخير محمد المتوكل - الذي كان كمن سبقه من الخلفاء في دولة المماليك ليست له أي سيطرة وإنما كان صورة فقط - للسلطان سليم الأول عن الخلافة، ودخلت الحجاز في تبعية الدولة العثمانية، وأصبح السلطان سليم الأول أول خليفة عثماني، فنقل مقر الخلافة من القاهرة إلى إستانبول، وتوفي السلطان سليم الأول عام 926هـ.



الخليفة سليمان الأول (القانوني) (926 - 974هـ)

بلغت الدولة في عهده أقصى اتساع لها.. حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، واشتهر بـ"سليمان القانوني"، لأنه وضع نظمًا داخلية في جميع فروع الحكومة، فأدخل بعض التغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه "محمد الفاتح"، وجعل كبرى الوظائف العليا وظيفة المفتي، وأدخل التنظيمات على جيش الإنكشارية، وكانت كلها في ضوء الشريعة الإسلامية، ولم تكن مستمدة من القوانين الوضعية كما قد يتبادر إلى الأذهان.

أعمال العثمانيين في الأمصار الإسلامية

تمرد حكام الشام:

ما إن وصل خبر موت السلطان سليم الأول إلى "جانبرد الغزالي" إلا وأعلن تمرده، وعرض على حاكم مصر أن يحذو حذوه.. فخدعه حاكم مصر بإبداء الموافقة، وفي الوقت نفسه كان يطلع الخليفة "سليمان" على كل ما يرمي إليه حاكم الشام، وبدأ حاكم الشام في تنفيذ تمرده بمحاصرة حلب، ولكن بمجرد وصول الجيوش العثمانية إلى حلب، ولّى حاكم الشام الأدبار ثم تحصن بدمشق وواجه الجيوش العثمانية فهزم، وحاول أن يفر متنكرًا فسلمه أحد أعوانه للعثمانيين فقتلوه.

في بلاد فارس (الدولة الصفوية):

في عام 941هـ؛ دخل العثمانيون تبريز للمرة الثانية، ومنها اتجهوا إلى بغداد.. فضُمت إلى أملاك الدولة العثمانية، وفي عام 954هـ طلب أخو الشاه الصفوي مساعدة السلطان ضد أخيه، فدخل العثمانيون تبريز للمرة الثالثة.

في بلاد العرب:

احتدم الخطر الإسباني والبرتغالي الصليبي على المسلمين، فبعدما استولوا على آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس، وعاهدوا المسلمين على أن يكفلوا لهم الحرية الدينية وممارسة الشعائر، لكنهم سرعان ما أخلفوا العهود ونقضوا المواثيق، فأخذت محاولات التنصير الضارية تنهمر على المسلمين في الأندلس، مستعملين في ذلك جميع الوسائل من إبادة وتشريد وهتك للأعراض واستعباد، وغيرها من الوسائل التي يعجز القلم عن وصفها، فهام المسلمون في الأندلس على وجوههم، منهم من لحقته الإبادة، ومنهم من ذاب في المجتمع النصراني، ومنهم من استطاع أن يفر بدينه ليهاجر للأمصار الإسلامية.

ولم يكتف الإسبان والبرتغاليون بالأندلس، فبعد أن استتب لهم الأمر فيها.. اتجه الإسبان نحو الأمصار الإسلامية الأخرى ليعيدوا المأساة فيها، واحتلوا بعض المراكز في شمال إفريقيا مثل طرابلس والجزائر وبترت ووهران وغيرها.

فأرادت الدولة العثمانية تحرير شمال إفريقيا من الإسبان، ثم الاتجاه للأندلس ولمّ شمل المسلمين.

البحّارة خير الدين وأخوه عروج:

وفي عهد السلطان "سليم الأول" ظهر أحد البحارة الذين لهم صفحات لامعة في التاريخ الإسلامي، وهو البحار "خير الدين" الذي كان قرصانًا نصرانيًّا في جزر بحر

"إيجه"، ثم اعتنق الإسلام هو وأخوه "عروج"، ونذرا نفسيهما لخدمة الإسلام، وكانا ينتقمان من القراصنة النصارى الذين كانوا يعترضون السفن المسلمة ويسترقون ركابها وينهبونها، فكانا بالمثل يعترضان سفن النصارى ويبيعان ركابها عبيدًا، ثم في عهد السلطان "سليم الأول".. أرسلا إليه إحدى السفن التي أسروها، فقبلها منهما.. فأعلنا طاعتهما وخدمتهما للعثمانيين.

ضم الجزائر:

وانطلقا يطهران شواطئ إفريقيا من الصليبيين، فحرر عروج مدينة الجزائر ومدينة تلمسان، وكان ذلك في عهد السلطان سليم الأول، فعين خير الدين واليًا على الجزائر، وبالتالي ضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية.

ضم طرابلس الغرب (ليبيا):

أرسل السكان المسلمون إلى الخليفة يستغيثونه بعد احتلال الإسبان لطرابلس؛ فأرسل إليهم قوة بحرية صغيرة عام 926هـ بقيادة "مراد أغا"، ولكنه فشل في تحريرها، فأرسل الخليفة الأسطول العثماني بقيادة "طورغول" بك؛ فحرر المدينة من الإسبان وطردهم شر طردة، وواصل تحرير المدن الإسلامية من وطأتهم، فحرر "بنزرت" و"وهران" وغزا "ميورقة" (إحدى جزر البليار جنوب شرقي إسبانيا) وكورسيكا، وبذلك غدت طرابلس الغرب (ليبيا) ولاية عثمانية.

في تونس:

دعا الخليفة سليمان البحار خير الدين وأمره بالاستعداد لغزو تونس وتحريرها من ملكها الحفصي، الذي اشتهر بميله إلى شارلكان الملك النصراني شديد العداوة للإسلام؛ فأعد خير الدين العدة وبنى أسطولًا كبيرًا لهذا الغرض، وسار من مضيق "الدردنيل" قاصدًا تونس، وفي طريقه أغار على مالطة وجنوبي إيطاليا للتمويه، ولكي لا يُعرف

مقصده الأساسي ثم وصل تونس، وبمنتهى السهولة سيطر عليها وعزل السلطان حسن الحفصي، ووضع مكانه أخاه، فاشتاط شارلكان ملك إسبانيا وإيطاليا والنمسا وغيرها من بلاد أوروبا، وصمم على استعادة نفوذه في تونس وإعادة ملكها العميل المخلص له، فقاد شارلكان بنفسه الجيوش، وتمكن من دخول تونس وترك الحرية لجنوده في النهب والقتل وهتك الأعراض وهدم المساجد والسبي والاستعباد، وأعاد السلطان حسن الحفصي للحكم بعد أن أجبره على التنازل له عن مدن بنزرت وعنابة وغيرها، واضطر خير الدين إلى الانسحاب من تونس.

في الجزيرة العربية والهند:

كما ذكرنا من قبل الخطر الذي بدأ يظهر من قِبَل البرتغاليين واحتلالهم لبعض المواقع في جنوب شبه الجزيرة العربية ومواصلة الزحف لنبش قبر الرسول، هذا بالإضافة إلى خطرهم على بلاد الهند التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطان المغول المسلمين.

أمر الخليفة سليمان بتجهيز أسطول للسيطرة على الجزيرة العربية وتطهيرها من البرتغاليين، فتمكن العثمانيون من ضم اليمن وعدن ومسقط ومحاصرة جزيرة هرمز، وبالتالي أغلقوا الأبواب في وجه البرتغاليين وأهدافهم الدنيئة، وفي الوقت نفس استنجد المغول المسلمون بالسلطان سليمان من البرتغاليين الذين احتلوا بعض سواحل الهند، فأرسل إليهم أسطولًا تمكن من تحرير بعض القلاع من البرتغاليين، ولكن الأسطول العثماني هزم في معركة "ديو" البحرية؛ فاضطر إلى الانسحاب؛ خصوصًا بعدما حاول الأعداء إثارة الفتن وإشاعة أن العثمانيين يريدون ضم الهند.

الجهاد في أوروبا

البحار خير الدين والانتقام لمسلمي الأندلس:

عندما سمع البحار خير الدين وأخوه عروج بما حدث للمسلمين؛ قاما لنجدة إخوانهم في الأندلس، وكانت سفنهم تتجه إلى شواطئ الأندلس لتحمل المسلمين الفارين بدينهم من محاولات الإبادة والتنصير الإسبانية إلى الأمصار الإسلامية، وفي الوقت نفسه أراد أن ينتقم لمسلمي الأندلس من نصارى أوروبا بصفة عامة ونصارى إسبانيا بصفة خاصة، الذين اشتركوا جميعًا وباركوا إبادة المسلمين في الأندلس.

فأغار على الكثير من شواطئ إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وزج في سفنه بالكثير من أهالي هذه البلاد.. تمهيدًا لبيعهم عبيدًا في الأمصار الإسلامية، ليعلمهم أن المسلمين بقدر سماحتهم وعفوهم، فهم قادرون على الانتقام لإخوانهم، وكان قد صب تركيزه على إسبانيا بعد أن عقدت معاهدة بين العثمانيين وفرنسا، وانتصر خير الدين بعد انسحابه من تونس على أسطول "شارلكان" في عام 944هـ، وحاول فتح جزيرة كريت ولكنه فشل في فتحها.

فتح جزيرة رودس:

استغل الخليفة انشغال أوربا بالحروب كحروب شارلكان ملك النمسا مع ملك فرنسا فرانسوا وأيضًا الخلاف المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت واتجه لفتح جزيرة رودس، وتمكن بالفعل من فتحها عام 929هـ، وفر فرسان القديس يوحنا من رودس إلى جزيرة مالطة، التي أهداها لهم شارلكان ملك النمسا.

تحويل القرم إلى ولاية عثمانية:

وقع الخلاف بين التتر المسلمين الذين يحكمون القرم، التي تعترف بسيادة الدولة العثمانية، فتدخلت الدولة العثمانية وجعلتها ولاية عثمانية عام 939هـ.

تحويل الأفلاق إلى ولاية عثمانية:

قرر السلطان سليمان أن يجعل ولاية الأفلاق ولاية عثمانية، فدخلها عام 931هـ ودخل عاصمتها بوخارست، ولكن الأعيان فيها ثاروا بمساعدة أمير ترانسلفانيا، وعينوا أميرًا جديدًا فوافق الخليفة في مقابل زيادة الجزية.

تحالف العثمانيين مع فرنسا:

اشتد خطر "شارلكان" ملك النمسا على فرنسا، خصوصًا بعدما أحاط بها من جميع الجهات، فقد ضم إليه إسبانيا وأجزاء كبيرة من إيطاليا وهولندا وألمانيا، فاقترح ملك فرنسا على الخليفة سليمان القانوني أن يهاجم شرق مملكة "شارلكان"، في حين يهاجم ملك فرنسا من الغرب، فاقتنع الخليفة بالفكرة.

فتح بلغراد:

أرسل الخليفة إلى ملك المجر يأمره بدفع الجزية، فقتل الملك رسول الخليفة، فجهز الخليفة جيشًا قاده بنفسه وسار ففتح بلغراد عام 927هـ، بعد أن كانت أكبر مانع للعثمانيين لدخول بلاد المجر.

فتح بلاد المجر:

سار الخليفة بنفسه ومعه جيش قوامه 100.000 جندي و300 مدفع و800 سفينة في نهر الدانوب جنوب بلاد المجر، جاعلًا بلغراد قاعدته الحربية، ففتح عدة قلاع في أثناء مسيرته واستطاع أن يفتح عاصمتها بودا في عام 932هـ، بعد أن هزم ملك المجر وفرسانه والتقى أعيان البلاد، واتفق معهم على تعيين "جان زابولي" ملك ترانسلفانيا ملكًا على المجر.

الحرب مع النمسا ومحاصرة ويانة (فيينا):

ادعى أخو الملك شارلكان "فرديناند" سلطته على المجر، واستطاع أن يحتل عاصمتها بودا؛ فاستنجد ملكها جان زابولي بالخليفة، فانقضت الجيوش العثمانية على بودا التي فر منها فرديناند فتبعته الجيوش المظفرة وحاصرت عاصمة النمسا ويانه (فيينا)، وأحدثت ثغرًا في أسوارها إلا أن الذخيرة نفدت منهم وأقبل فصل الشتاء فرجع الخليفة إلى بلاده.

وفي عام 938هـ؛ حاول ملك النمسا احتلال بودا، ولكنه لم يستطع، فسار إليه الخليفة في العام الثاني، ولكنه رجع عندما علم باستعدادات شارلكان.

فرنسا تنقض الحلف مع العثمانيين:

ثار الرأي العام في أوروبا على تحالف فرنسا النصرانية مع الدولة العثمانية المسلمة ضد شارلكان ومملكته النصرانية، فما كان من فرانسوا ملك فرنسا.. إلا أن عقد هدنة مع ملك النمسا، ونقض التحالف مع العثمانيين، فاستغلت النمسا الفرصة وأعادت الكرة في الحروب مع العثمانيين ولكنها انهزمت عام 943هـ.

تحريض أمير البغدان على العثمانيين:

قام أخو الملك شارلكان بتحريض أمير البغدان على الدولة العثمانية، فأعلن تمرده فتمكن منه العثمانيون وعينوا أخاه أصطفان أميرًا للبغدان، وعززوا الحامية العثمانية فيها.

مواصلة الحروب مع النمسا:

اقتنع "زابولي" ملك المجر بفكرة فرديناند في اقتسام المجر، وإلغاء الحماية العثمانية عليها، وأرسل "فرديناند" صورة من الاتفاق السري بينهما للخليفة ليعلمه بعدم ولاء "زابولي" له، وقبل أن يعاقب الخليفة الملك "زابولي" كان الموت أسرع إلى زابولي عام 946هـ، فاستغل "فرديناند" الفرصة ليحتل المجر؛ فاحتل مدينة بست (على الضفة الأخرى لنهر الدانوب والمواجهة لمدينة بودا، واللتان اندمجتا معًا لتكونا العاصمة الحالية للمجر بوادبست)، فانقض عليهم الجيش العثماني عام 947هـ.. ففر النمساويون؛ وبهذا أصبحت المجر ولاية عثمانية، ورضيت أرملة زابولي بذلك حتى يكبر ابنها الذي ما زال طفلًا، وأخيرًا عقدت معاهدة بين العثمانيين والنمسا لمدة خمس سنوات.. تدفع بموجبها النمسا جزية سنوية مقابل ما بقي تحت يديها من المجر.

السيطرة على ترانسلفانيا:

واستمر الأوروبيون النصارى في نقض العهود؛ فتنازلت "إيزابيلا" أرملة "زابولي" عن ترانسلفانيا لفرديناند، وبذلك نقض العهد بين العثمانيين والنمسا، فأسرعت الدولة العثمانية بالسيطرة على ترانسلفانيا عام 957هـ.

عقد الاتفاقيات مع فرنسا:

أرادت الدولة العثمانية استمالة أحد الأطراف الصليبية إليها حتى تفرق وحدتهم ضدها، فعقدت مع فرنسا اتفاقية في عام 942هـ، ولكنها شملت الكثير من الامتيازات لفرنسا التي سببت مشكلات كثيرة للعثمانيين حتى سقطت الخلافة، خصوصًا أن الكثير ممن خلفوا الخليفة سليمان قد تبعوه في منح الامتيازات التي جعلت للأجانب دولة داخل الدولة العثمانية، وجعلت القنصل يحكم بقوانين بلاده في الدولة العثمانية في كل ما يتعلق بالرعايا الفرنسيين، ومن أمثالها: ألا تسمع الدعاوى المدنية للسكان المسلمين ضد تجار ورعايا فرنسا، ولا يحق لجباة الخراج إقامة دعاوى عليهم،

وأن يكون مكان دعواهم عند الصدر الأعظم لا عند أي محكمة كباقي الشعب، وإذا خرج فرنسي من الدولة العثمانية وعليه ديون فلا يسأله أحد عنها، وتكون في طي النسيان، وغيرها من الامتيازات التي جعلت لهم نفوذًا كبيرًا في أنحاء الدولة، بمرور الزمن حتى أصبحوا يعيشون في أرض يباح لهم فيها فعل كل ما يريدون من استحلال للمنكرات والفجور، ولا يستطيع أحد أن يكلمهم، بل قيل إن سجونهم التي كانت تدار بواسطة بلادهم في الدولة العثمانية كانت عبارة عن قصور، بها ما لذ وطاب من الجواري والخمور وغيرها.

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل أخذت كل دولة أجنبية تطالب بامتيازات لها في الدولة العثمانية كلما قوي أمرها، كما سنعلم في الصفحات الآتية؛ ليزداد الخناق على الدولة العثمانية من الداخل، إضافةً إلى الخناق المفروض عليها من الخارج والمتمثل في الحروب.

الأفعى روكسلان ويهود الدونمة:

أسر التتر المسلمون في القرم في إحدى غاراتهم على الروس فتاة بالغة الجمال تدعى "روكسلان"، فأهدوها إلى الخليفة الذي اتخذها زوجة له، وقيل إنها كانت "يهودية روسية"، فعكفت على التدخل في شئون الحكم، فطلبت من الخليفة أن يسمح لليهود الذين طردوا من الأندلس مع المسلمين بالاستيطان في أرجاء الدولة العثمانية، الذين يطلق عليهم "يهود الدونمة"، والذين لم يحفظوا الجميل للعثمانيين بعد أن رفضهم العالم وضاقت بهم الأرض بما رحبت، فلم يجدوا إلا الدولة العثمانية تفتح لهم أحضانها، وتظلهم بظلها، وسيكون لهم دور رئيسي فيما بعد في سقوط الخلافة العثمانية، كما سنعلم في الأحداث التالية.

وتوسطت أيضًا لدى الخليفة ليمنع التتر في القرم من محاربة الروس، برغم أن الروس في ذلك الوقت كانوا قد سيطروا على أكثر بلاد التتر، وارتكبوا فيها أبشع الجرائم التي تدل على حربهم الصريحة للإسلام.

ولم تكتف روكسلان بذلك؛ بل اجتهدت لتولي ابنها من السلطان سليمان - الذي سمِّي بسليم - الخلافة بعد أبيه، رغم وجود أخيه الأكبر مصطفى القائد العظيم الذي حظي بحب الجيش والشعب له، فقامت بعمل دسيسة نفذها الصدر الأعظم رستم باشا (المعيّن) بواسطتها وهو في الوقت نفسه (زوج ابنتها من السلطان)، فحرّض رستم باشا الخليفة ضد ابنه، وكتب إليه يحذره أن ابنه "مصطفى" يريد عزله وتنصيب نفسه على السلطنة.. فخرج إليه الخليفة، وكان "مصطفى" يحارب الدولة الصفوية، فاستدعاه أبوه إلى خيمته، فما إن جاء ابنه حتى انقض عليه بعض الخدم فخنقوه، ولم تكتف الأفعى بقتل مصطفى؛ فأرسلت من يقتل ابنه الرضيع.

ثم توفي الخليفة سليمان عام 974هـ، وتولى بعده: الخليفة سليم الثاني.



الخليفة سليم الثاني (974 - 982هـ)

ومما يميز عصره.. أن أصبحت وظيفة الصدر الأعظم تشكل لمن يتقلدها الحاكم الفعلي وقائد الجيوش، وكان من أسباب اللجوء إلى هذه الوظيفة كبر رقعة الدولة واتساعها، وتدفق الأموال على خزائنها، مما جعل الحكام بعد ذلك يلجئون للترف والراحة تاركين للصدر الأعظم تحمل المسئولية.

وسليم هو ابن روكسلان الروسية، الذي تولى السلطة بعد أن نجحت الدسائس التي وضعتها روكسلان في قتل أبناء الخليفة سليمان، واشترك سليم الثاني في بعضها.

وهذا الخليفة لم يكن قويًّا كالخلفاء والسلاطين السابقين، ولكن وجود الوزير "محمد الصقلي" قد حفظ للدولة مكانتها.

أعمال العثمانيين في الأمصار الإسلامية

قمع الثورات في اليمن:

قامت ثورة في اليمن، وكان قائدها "المطهر بن شرف الدين"، فأرسل إليه جيش بقيادة عثمان باشا يسانده سنان باشا والي مصر، وتمكن الجيش من إخماد الثورة عام 976هـ.

تحرير تونس من الإسبان وجعلها ولاية عثمانية:

استطاعت إسبانيا احتلال تونس عام 980هـ، وإعادة عميلها مولاي حسن الحفصي، ولكن سرعان ما استطاع العثمانيون طرد الإسبان من تونس وجعلها ولاية عثمانية عام 981هـ، وكان قائد التحرير فيها هو سنان باشا والي مصر.

الأعمال في أوربا

مع النمسا:

في عام 976هـ؛ أبرمت الدولة صلحًا مع النمسا ينص على اعتراف الدولة بحماية النمسا على بعض الأجزاء في المجر، وتدفع النمسا مقابل ذلك جزية سنوية، وتعترف في الوقت نفسه بتبعية "ترانسلفانيا" والأفلاق والبغدان للعثمانيين.

مع فرنسا:

أكد الخليفة تأييده للمعاهدات والامتيازات المبرمة مع فرنسا، وهذا ما ساعد على تدفق الإرساليات الكاثوليكية في أنحاء الدولة العثمانية، وبالذات في بلاد الشام، وبدأ العمل ضد الدولة العثمانية بضربها داخليًّا عن طريق زرع الانتماء إلى فرنسا والنصارى بصفة عامة.

مع لهستان أو بولونيا (بولندا الحالية):

فرضت الدولة تعيين أخي ملك فرنسا ملكًا على لهستان، متحدية كلًّا من النمسا وروسيا، وبذلك أصبحت لهستان (بولندا) تحت حماية العثمانيين.

فتح قبرص:

استطاعت الدولة العثمانية انتزاع قبرص من أيدي البنادقة الذين كانوا يحتلونها، وذلك في عام 978هـ.

موقعة ليبانت البحرية:

بعد ازدياد الخطر العثماني في البحر المتوسط على أوروبا، خصوصًا بعد فتح جزيرة قبرص، وبعض المواقع على بحر الأدرياتيك، وغزو جزيرة كريت، تحالف نصارى أوروبا لمحاربة العثمانيين، فاتحدت أساطيل البندقية مع إسبانيا مع رهبان جزيرة مالطة تحت مباركة البابا، واصطدمت هذه الأساطيل بالأسطول العثماني عام 979هـ، وانهزم الأسطول العثماني وفقد في هذه المعركة 130 سفينة و300 مدفع و30 ألف أسير، أخذها الأساطيل النصرانية.

وكان لهذا الانتصار رنينه الشديد في أوروبا، فخطب البابا في كنيسة القديس بطرس بروما (الفاتيكان) يشكر دون جوان قائد الأساطيل المظفرة، وما إن وصلت أخبار الهزيمة إلى إستانبول إلا وثار السكان المسلمون، يريدون أن يفتكوا بالنصارى لولا أن منعهم الوزير محمد الصقلي، وأخذت الدولة تعد أسطولًا جديدًا للأخذ بالثأر، فخافت البندقية؛ فعرضت الصلح على العثمانيين مقابل اعترافها بسيادة العثمانيين على قبرص، ودفع غرامة حربية كبيرة وتم ذلك عام 980هـ.

في البغدان:

قضى العثمانيون على تمرد ببلاد البغدان عام 981هـ، وتوفي الخليفة سليم الثاني عام 982هـ، وتولى الحكم ابنه مراد الثالث.



الخليفة مراد الثالث (982- 1003هـ)

الشئون الداخلية:

بمجرد توليه الحكم.. أمر بقتل إخوته الخمسة حتى لا ينازعه أحد في الحكم.

حاول السلطان منع شرب الخمر، الذي استفحل أيام أبيه، فأصدر قرارًا بمنعه؛ فثارت الإنكشارية وأجبروه على إلغاء هذا القرار.

جدد الامتيازات لدول أوروبا (فرنسا والبندقية)، وأعطى سفير فرنسا مكانة خاصة؛ إذ يتقدم باقي السفراء في المحافل الرسمية، وأجبرت السفن الأوروبية التي تدخل الموانئ العثمانية أن ترفع علم فرنسا، باستثناء البندقية، ثم استثنيت إنجلترا أيضًا في عهده.

الأعمال في الأمصار الإسلامية

في مراكش:

استنجد سلطان مراكش بالعثمانيين لإخماد ثورة اندلعت في بلاده، واستعان قائدها بالبرتغاليين، فلبى العثمانيون النداء، واصطدموا مع البرتغاليين في موقعة القصر الكبير عام 985هـ، وتحقق النصر للعثمانيين فأعادوا السلطان إلى الحكم.

مع الدولة الصفوية:

استغل العثمانيون الاختلاف على تولية حاكم للدولة الصفوية بعد موت "طهماسب" عام 984هـ، فضموا إليهم من أملاكها بلاد الكرج (جورجيا) عام 985هـ، ثم أذربيجان الشمالية (شروان عام 986هـ)، ثم بلاد داغستان عام 991هـ، وفي هذه السنة سار القائد عثمان باشا إلى بلاد القرم ليؤدب خانها الذي لم يمد العثمانيين في حربهم مع الصفويين، برغم أنهم طلبوا منه المدد، وتمكن عثمان باشا من إغراء أخي خان القرم بتوليته بدلًا من أخيه فقتل أخاه، واستطاع عثمان باشا أن يدخل عاصمة القرم "كافا"، وتولى منصب الصدر الأعظم بعد موت محمد باشا الصقلي، هذا الرجل الذي حفظ للدولة مكانتها طوال توليه منصب الصدر الأعظم.

وأجبر عثمان باشا الصفويين على الاعتراف بما ضمه من أملاكهم، فدخل عاصمتهم تبريز عام 993هـ، فأجبروا على التنازل عما تم ضمه، إضافةً إلى جنوب أذربيجان بما فيها العاصمة تبريز.

الأعمال في أوروبا

بولندا تحت الحماية الفعلية للعثمانيين:

فرضت الدولة تعيين أمير ترانسلفانيا ملكًا على بولونيا بعد مغادرة ملكها السابق هنري إلى فرنسا، وبهذا اعترفت النمسا بحماية الدولة على بولونيا عام 984هـ في معاهدة الصلح التي تمت بينهما، والتي كانت مدتها 8 سنوات، وبذا تحولت الحماية العثمانية على بولندا من حماية اسمية إلى حماية فعلية.

مشكلات الإنكشارية التي لا تنتهي:

نظرًا لتوقف الحروب سواء مع النمسا أو مع الصفويين؛ لم تجد الإنكشارية عملًا لها إلا السلب والنهب في المدن العثمانية، فأراد الصدر الأعظم أن يشغلهم بالحروب مع النمسا في المجر، ونظرًا لما وصل إليه الإنكشارية من فوضى توالت عليهم الهزائم، وفقدوا بعض القلاع، واستطاع سنان باشا أن يستردها عام 1003هـ.

واستغل أمراء الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا الموقف، وانضموا إلى النمسا في حروبها ضد العثمانيين، فدخل سنان باشا عاصمة الأفلاق بوخارست، إلا أن أميرها استطاع أن يجعل الجيوش العثمانية تتقهقر إلى ما بعد نهر الدانوب، وانتزع منهم عدة مدن. وتوفي الخليفة مراد الثالث في العام نفسه 1003هـ، وتولى ابنه محمد الثالث.

الخليفة محمد الثالث (1003- 1012هـ)

وهو ابن الخليفة مراد الثالث من جارية إيطالية من البندقية، وكان لها تدخل كبير في شئون الدولة، وما إن تولى الحكم حتى أمر بقتل إخوته التسعة عشر.

موقعة كرزت:

منذ أواخر عصر سليمان القانوني ومن خلفوه، كانت قيادة الجيوش بيد الصدر الأعظم، فخرج محمد الثالث عن هذه القاعدة، خصوصًا بعد ما توالت الهزائم على الجيوش العثمانية، فقاد محمد الثالث الجيوش بنفسه فدبت الحمية الدينية في قلوب الجيش العثماني، وازدادت الروح القتالية وهزموا جيوش المجر والنمسا عام 1005هـ في موقعة كرزت.

اندلاع الثورات

ثورة فراري:

في أثناء موقعة كرزت فرّت فرقة من الجيش، ولم تثبت في المعركة فنفيت إلى الأناضول، وأطلق عليها اسم "فراري"، كنوع من التجريس والإهانة لها حتى تكون عبرة لغيرها.

فادعى أحد قادتها (قره يازجي) أنه رأى الرسول في المنام يبشره بالنصر على العثمانيين، فاستولى على مدينة عينتاب فحاصره العثمانيون، فوافق على التسليم في مقابل أن يعين على ولاية أماسيا، فوافق العثمانيون، إلا أنه ما لبث أن عاد للتمرد بمجرد مغادرة العثمانيين، فعادوا إليه وفي هذه المرة يساعده أخوه "ولي حسن" والي بغداد فانهزم "قره يازجي"، ومات متأثرًا بجراحه في حين استطاع أخوه "ولي حسن" أن ينتصر على صقلي حسن باشا ويقتله عام 1010هـ، ولكي تتجنب الدولة المزيد من الفتن؛ أعطته ولاية البوسنة ليحارب الأوروبيين حتى هلك هو وأتباعه.

ثورة الخيالة (السباه):

ونتيجة للثورة السابقة طالب الخيالة بتعويضهم عما لحق بهم من أضرار، فانقض عليهم جيش الإنكشارية فأخمدهم.

وتوفي الخليفة محمد الثالث عام 1012هـ، وتولى الخلافة ابنه أحمد الأول.



الخليفة أحمد الأول (1012 - 1026هـ)

تولى الحكم ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره، ولم يقم بقتل أخيه مصطفى ولكنه اكتفى بحبسه مع الجواري والخدم.

حركات التمرد في الدولة العثمانية:

تعددت في عهده الحركات ضد الدولة مستغلين صغر سنه، ومن أمثلة هذه الحركات "حركة بولاد الكردي"، و"حركة والي أنقرة قلندر أوغلي"، و"حركة عز الدين المعنى" وهو درزي تمكن من جمع الكثير من النصارى والنصيرية والدروز، وأظهر للخليفة الطاعة فأعطاه الإشراف على مناطق كثيرة في الشام مثل جبل لبنان وأجزاء من سوريا وغيرها، فاتفق مع الإيطاليين، فأمدوه بما يحتاج لبناء وتجهيز جيش قوامه 40000، جندي، ثم أعلن التمرد عام 1022هـ، فهزمته الجيوش العثمانية بعد أن استطاع الفرار إلى إيطاليا.

انتشار الدخان:

انتشر شرب الدخان عن طريق الهولنديين، فتعاطاه الكثير من الجنود؛ فأفتى المفتي بمنع الدخان، فهاج الجنود ومعهم الموظفون حتى أجبروا السلطان على إباحته

التراجع أمام الصفويين:

استطاع الشاه عباس ملك الصفويين أن يستغل الفتن الداخلية في الدولة العثمانية، فاستعاد تبريز وشمال العراق وغيرها، ومما زاد (الطين بلة) موت الصدر الأعظم مراد باشا، الذي أبلى بلاءً حسنًا في القضاء على الثورات والفتن، فاضطرت الدولة لعقد معاهدة صلح مع الصفويين عام 921هـ، تنازلت بموجبها عن كل ما ضمه العثمانيون من أملاكهم منذ عهد سليمان القانوني.

في أوروبا:

جددت الامتيازات مع إنجلترا وفرنسا وحظيت الفلمنك (هولندا) بنصيب منها، وعقد صلح مع النمسا عام 1015هـ، تدفع بمقتضاه النمسا 200000 دوكا دفعة واحدة، وتتوقف عن الجزية السنوية التي كانت تدفعها.

عقدت معاهدة مع بولندا تحمي الدولة بها بولندا من تتار القرم، في حين تحمي بولندا الدولة من القازاق.

كثرت المعارك البحرية بين العثمانيين ونصارى أوروبا، وكان النصر فيها حليفًا للنصارى؛ ما دفع الدولة إلى سحب أسطولها من البحر الأسود لصد أساطيل النصارى في البحر المتوسط، فاستغل القازاق هذه الفرصة وهاجموا ميناء سينوب العثماني على البحر الأسود، ووقع الخلاف بين الخليفة والصدر الأعظم نصوح باشا فقتل على أثره الصدر الأعظم.

توفي السلطان أحمد الأول عام 1026هـ، وكان في الثامنة والعشرين من عمره، وكان ابنه صغيرًا، فعهد إلى أخيه مصطفى بالخلافة.



الخليفة مصطفى الأول (1026 - 1027هـ)

خرج من حبسه مع الجواري والخدم لا يعرف شيئًا عن الحكم، ولم تزد فترة حكمه على ثلاثة أشهر، ثم تم عزله وتولى ابن أخيه عثمان الثاني الخلافة عام 1027هـ.

الخليفة عثمان الثاني (1027 - 1031 -هـ)

تولى الحكم وعمره لا يزيد على 13 عامًا، فقتل أخاه محمد كما هي العادة.

عفا عثمان الثاني عن فخر الدين المعنى، وسمح له بالعودة من إيطاليا، فعاد إلى جبل لبنان وبدأ يتحرك للتمرد مرة أخرى.

قامت الحرب بينه وبين بولونيا فطلبت بولونيا الصلح فتم عام 1029هـ، خصوصًا بعد تخاذل الإنكشارية في القتال، فأراد أن يؤدبهم ويستبدل بهم جنودًا جددًا مدربين، فثاروا عليه وقتلوه، في أول سابقة من نوعها في الدولة العثمانية. ومما يبين مدى النفوذ الذي وصل إليه الإنكشارية، وأعادوا عمه مصطفى إلى الحكم عام 1031هـ، وما إن انتشر خبر قتل الخليفة حتى عمت الفوضى والثورات أرجاء الدولة العثمانية، وقام الولاة يعلنون الاستقلال عن الدولة، فأشار الصدر الأعظم المعين بواسطة الإنكشارية بعزل الخليفة مصطفى الأول وتعيين ابن أخيه مراد الرابع خليفة عام 1032هـ.



الخليفة مراد الرابع (1032 - 1049 ـــ هـــ)

وهو ابن الخليفة أحمد الأول، وكان حين تولى الحكم لم يبلغ الرابعة عشرة بعد.

الشئون الداخلية

ثورة أباظة باشا:

تولى الخليفة مراد الرابع الحكم والدولة تملؤها الفتن والثورات، ومن أشهرها "ثورة أباظة باشا"، والي "أرضروم" الذي دخل إلى أنقرة وسيواس، ونظرًا لصغر سن الخليفة فقد سيطر الإنكشارية في بداية الأمر، فكانت المسئولية بأكملها ملقاة على عاتق الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا، الذي استطاع أن يخمد ثورة أباظة باشا بعد الانتصار عليه في موقعة قيصرية عام 1033هـــ، ثم عاد أباظة باشا إلى الثورة بعد تعيين خسرو باشا صدرًا أعظم، فسار إليه خسرو باشا وأخضعه وعينه على ولاية البوسنة 1037هـــ.

ثورة الإنكشارية:

ثارت الإنكشارية في أثناء الحروب مع الدولة الصفوية، وكان الخليفة قد اشتد عوده فتصدى لهم وقتل مثيري الفتنة منهم فأخمدهم.

تجدد ثورة فخر الدين المعنى:

ما إن استتب الأمر لفخر الدين المعنى؛ حتى استغل الظروف التي تمر بها الدولة من فتن وثورات، وقام بثورة جديدة فخرج إليه والى دمشق واستطاع أن ينتصر عليه

ويأسره هو وولديه، وأرسلهم إلى الخليفة الذي رغم تكرار خيانة فخر الدين وتعاونه الدائم مع أعداء الإسلام من الصليبيين، فإن الخليفة قد أحسن معاملته هو وذويه،؛ ما شجع حفيده قرقماز على الثورة فنفد صبر الخليفة، وقام بقتل فخر الدين المعنى وابنه الأكبر وأخضع ثورة قرقماز.

الحروب مع الصفويين:

بدأت الحروب مرة أخرى مع الصفويين عندما قتل قائد الشرطة في بغداد بكير أغا والي بغداد، فحاصره الصدر الأعظم حافظ باشا، ولكنه اتصل بالشاه عباس، وعرض عليه تسليم المدينة، وفي الوقت نفسه عرض على الصدر الأعظم تسليم المدينة وله ولايتها فوافق، ودخلت الجيوش العثمانية المدينة قبل وصول الشاه عباس، وما إن وصل الشاه عباس حتى ضرب الحصار على بغداد 3 أشهر، فعرض على ابن بكير أغا تسليم المدينة وإعطاءه ولايتها، فوافق وخان العثمانيين، فدخلت جيوش الشاه بغداد وقتلت بكير أغا وابنه؛ لأنهما خائنان لا يمكن الاعتماد عليهما.

حاول الصدر الأعظم حافظ باشا استرداد بغداد، ولكن الإنكشارية لم يحاربوا معه؛ ما أدى إلى عزله، واستغل الصدر الأعظم خسرو باشا وفاة الشاه عباس 1038هـ وتولى ابنه الصغير الحكم فاسترد مدينة همدان 1039هـ، وحاول استرداد بغداد مرتين ولكنه فشل، فسار الخليفة بنفسه لقتال الصفويين، وخاف أن يخرج عليه أخواه بايزيد وسليمان فأمر بقتلهما، ثم دخل مدينة تبريز عام 1045هـ بعد مقاومة عنيفة من الصفويين، واسترد بعض القلاع ثم عاد إلى إستانبول، فاستغل الصفويون الفرصة واستردوا بعض القلاع، فخرج الخليفة إليهم وتمكن من دخول بغداد عام 1048هـ، وعقد صلحًا بين الدولتين عام 1049هـ، وتوفي الخليفة في نفس العام.



الخليفة إبراهيم الأول (1049 - 1058 ـ هـ)

تولى الخلافة بعد وفاة أخيه مراد الرابع.

العمل في أوروبا:

اندلعت الحروب من جديد بين القازاق والعثمانيين، واستطاع القازاق احتلال مدينة آزارق (آزوف) على السواحل الشمالية للبحر الأسود، ولكن العثمانيين استطاعوا استردادها عام 1052هـ.

فتح جزيرة كريت:

جهز العثمانيون أسطولًا لفتح جزيرة كريت التي كانت تتبع البندقية في ذلك الوقت، وتمكن العثمانيون من فتحها عام 1055هـ ودخلوها بمنتهى السهولة لعدم وصول الأسطول البندقي، فاغتاظ البنادقة لذلك، وأحرقوا بعض الموانئ العثمانية، فأراد الخليفة الانتقام في شخص نصارى الدولة، ولكن المفتي عارضه فامتثل لرأى المفتي، ولما ازداد تمرد الإنكشارية أراد الخليفة أن يؤدبهم، ولكنهم لما علموا بذلك داهموه وأسرعوا بعزله وعينوا ابنه الصغير محمد الرابع الذي لم يتجاوز السبع سنوات، وذلك في عام 1058هـ، ثم قتلوا الخليفة إبراهيم الأول خوفًا من عودته للحكم.

ظل الحكم العثماني على هذا النهج.. لم يتبدل، حتى صارت سقوط الدولة العثمانية بعد قرون من الازدهار أمرًا حتميًا.

الفصل الثاني

سقوط الدولة العثمانية



الخليفة محمد الخامس (1328 - 1337هـ)

أصبح الاتحاديون هم الحكام الفعليين للبلاد، أما الخليفة فلم يكن بيده أي شيء.

تسلم محمد الخامس منصب الخليفة عام 1328هـ بعد عزل أخيه.

احتلال إيطاليا لليبيا:

لم يتبق للعثمانيين في إفريقيا غير ولاية طرابلس (ليبيا)، بعد أن احتل الإنجليز مصر، واحتلت فرنسا المغرب العربي، فأرادت إيطاليا أن تأخذ نصيبها من تركة الرجل المريض، فأصبحت ليبيا هدفها، وبدأت التخطيط لاحتلال ليبيا بشراء الأراضي وإرسال البعثات النصرانية وغيرها، من وسائل التمكين، حتى إذا ما أتيحت لها الفرصة جاءت للعثمانيين بالذريعة التي تمكنها من احتلال ليبيا، وهى أن العثمانيين يقفون عقبة في سبيل تحضر الشعب الليبي، واحتلت إيطاليا ليبيا عام 1238هـ. وبرغم المقاومة من العثمانيين بقيادة عزيز المصري والفدائيين، وتحقيق بعض الانتصارات على إيطاليا، فإن إيطاليا هددت باحتلال إستانبول وضربت مرافئ الدولة، فاضطرت الدولة لتوقيع

معاهدة سلام مع إيطاليا عام 1329هـ، تنسحب بها من ليبيا تاركة المقاومة للمجاهدين وعزيز المصري.

الحروب البلقانية:

الحرب البلقانية الأولى 1330هـ:

اتحدت دول البلقان المستقلة والمتمثلة في الجبل الأسود والصرب وبلغاريا واليونان، ليتوسعوا على حساب العثمانيين، ويحتلوا ولاية الرومللي الشرقي، وقد تمكنوا من الانتصار على العثمانيين، واستخدمت الطائرات لأول مرة في هذه الحرب في قصف مدينة "أدرنه"، وكان من نتائج الحرب استقلال ألبانيا عن العثمانيين وتقسيم الرومللي الشرقي بين أعضاء التحالف البلقاني.

عودة الاتحاد والترقي

وما إن انتهت الحرب البلقانية الأولى بهزيمة العثمانيين؛ حتى قام أنور باشا أحد الضباط الاتحاديين الذين حاربوا في طرابلس بانقلاب عسكري، ومعه العديد من الضباط الاتحاديين، واستطاع أن يجبر الوزارة على الاستقالة، ويكوّن وزارة جديدة كان رئيسها محمود شوكت الذي لم يكن من الاتحاديين، فقتل بعد توليه بستة أشهر، وتولى مكانه أحد الضباط الاتحاديين.

الحرب البلقانية الثانية 1332هـ:

وقعت بسبب اختلاف دول التحالف البلقاني في تقسيم مقدونيا بينهم، حيث أصرت بلغاريا على حقها في كل مقدونيا، بينما أرادت دول البلقان الأخرى نصيبًا من مقدونيا، فاندلعت الحرب بين بلغاريا من جهة، ودول البلقان الأخرى، اليونان ورومانيا والصرب، من جهة أخرى وانضمت الدولة العثمانية للتحالف ضد بلغاريا فانهزمت

بلغاريا وقسمت مقدونيا بين الصرب واليونان وبلغاريا، في حين حصلت الدولة العثمانية على جزء مما فقدته في الحرب البلقانية الأولى متمثلًا في تراقيا ومدينة أدرنه.

الحرب العالمية الأولى

استطاع أنور باشا الذي كان يشغل منصب وزير الحربية أن يجر البلاد إلى الحرب العالمية الأولى، بفرض الأمر الواقع على كل من عارضه، وكان القرض المالي الذي عرضته ألمانيا على العثمانيين والمقدر بـــ (5 ملايين ليرة ذهبية) من الأشياء التي شجعت المعارضين على الرضوخ للحرب.

وفي البداية أرادت الدولة أن تساوم الحلفاء في دخول الحرب، فقدمت لهم مذكرة مقابل حيادها؛ تمثلت في إلغاء الامتيازات الأجنبية وخروج الإنجليز من مصر وضم جزر بحر إيجة للعثمانيين، ومنع روسيا من التدخل في شئون العثمانيين، فلم يرد الحلفاء على شروطها، فدخلت الدولة العثمانية الحرب، التي كانت بمنزلة القشة التي قصمت ظهر البعير، وكان القتال على أربع (4) جبهات هي:

1- جبهة شرقية: وحاول فيها أنور باشا بنفسه اجتياح روسيا من الشرق في الشتاء القارس، ولكنه مُني بالفشل الذريع واضطر للانسحاب.

2- جبهة قناة السويس: سارت القوات العثمانية في سيناء متجهة إلى قناة السويس، وقاموا بالهجوم قبل الموعد المحدد مع المصريين الذين اتفقوا معهم على حرب الإنجليز، وفشل هذا الهجوم الذي تبعه هجومان آخران بقيادة الألمان ولكنهما فشلا أيضًا.

3- جبهة عدن: وحاول فيها العثمانيون طرد الإنجليز من عدن ولكنهم فشلوا، وساعد الإدريسي حاكم اليمن الإنجليز في عسير على العثمانيين.

4- جبهة الدردنيل: حصّن العثمانيون مضيق الدردنيل حتى يعجز الأعداء عن الوصول إلى إستانبول، وبدأ الإنجليز في هجومهم على الدولة العثمانية واستطاعوا دخول فلسطين، وعندما وصل القائد الإنجليزي اللنبي القدس قال عبارته المشهورة: *الآن تنتهي الحروب الصليبية*. واستطاع الفرنسيون احتلال سوريا.



الخليفة محمد السادس (وحيد الدين) (1328 - 1337هـ)



استلم الخلافة في أثناء الحرب العالمية الأولى، والهزائم تتوالى على العثمانيين، حتى استطاع الحلفاء أن يحتلوا إستانبول لتسقط لأول مرة منذ فتحها السلطان الغازي محمد الفاتح.

واحتلت إيطاليا جزءاً من جنوب الأناضول، بينما احتلت اليونان القسم الغربي من الأناضول، بالإضافة إلى تراقيا؛ فاستسلمت الدولة العثمانية، وهكذا في الوقت القليل الذي تسلم فيه الاتحاديون الحكم في البلاد أضاعوها، وأعادوها إلى الخلف عدة قرون، مع إلباسها لباس الذل والمهانة والهزيمة النكراء.

وفي هذا الوقت الذي تولى فيه الخليفة محمد السادس قرب إليه مصطفى كمال، الذي كان يرافقه في رحلته إلى برلين عندما كان وليًا للعهد، وكان مصطفى كمال قد بدأ يعمل لنفسه، فرفض الخليفة أن يكون صورة كمن سبقه، فتنازل عن الخلافة لعبد المجيد الثاني ابن الخليفة عبد العزيز.

مصطفى كمال أتاتورك



مصطفى كمال.. الذي يطلق عليه أتاتورك (أي أبو الأتراك)، ولد في سالونيك أكبر تجمعات "يهود الدونمة" في الدولة العثمانية، ولذلك رجح الكثير أنه كان من يهود الدونمة؛ نظرًا لأفعاله الخسيسة ومحاربته الشديدة للإسلام، وكان أحد رجال الاتحاد والترقي، وكان أحد القادة في الجيش العثماني في الشام، وكان دائم الفرار أمام جيوش الحلفاء حتى قيل إن فراره امتد من الشام إلى بلاد الأناضول في الحرب العالمية الأولى، ووجد أعداء الإسلام فيه ضالتهم، فهذا الرجل هو الذي سيضرب المسلمين في مقتل؛ لأنه يدعي أنه من المسلمين.

فأراد الحلفاء أن يرفعوا شأنه في البلاد حتى يتركوا له المهمة فيما بقي من أراضي الدولة العثمانية، ففوجئ الجميع به في سيواس يعقد مؤتمرًا للدفاع عن البلاد، ويعين رئيسًا للمؤتمر، ثم انتقل إلى أنقرة وناهض الحكومة العثمانية، وساعده الحلفاء بإملاء الشروط القاسية على الحكومة، بل وأجبروها على قبولها وقد تضمنت من الشروط: إقامة دولة في إستانبول، وفصل بلاد العرب عن العثمانيين، استقلال أرمينيا، الاستقلال الذاتي لكردستان، ضم تراقيا وجزر بحر إيجة لليونان، وضع المضائق تحت إشراف دولي، وسيطرة الحلفاء على المالية، توجيه الجيش العثماني وتحديد عدد أفراده من قبل الحلفاء.

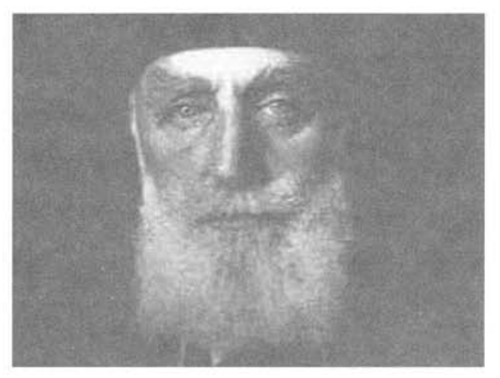
وفي ذلك الوقت كان أتاتورك قد أعلن عن قيام مجلس جديد للعثمانيين، أي حكومة أخرى في أنقرة، وأعلن رفضه لشروط الحلفاء، وأطلق الحلفاء العنان لأتاتورك ليظهر بمظهر البطل. فتركوا اليونان تواجه تركيا بمفردها، فحققت تركيا بعض الانتصارات أشهرها موقعة "سقاريا"، واضطرت اليونان إلى الانسحاب من الأناضول وتراقيا الشرقية عام1340هـ، وكذلك تركت فرنسا كيليكيا، وانسحبت إيطاليا من

أنطاكيا، أما الروس فقد انشغلوا أثناء الحرب بالثورة الشيوعية، ثم اتفق أتاتورك معهم على أن يترك لهم مدينة باطوم على البحر الأسود في مقابل وقف القتال بينهما.



الخليفة عبد المجيد الثاني (1340 - 1342هـ)

مؤتمر لوزان



عقد مؤتمر لوزان سنة 1341هـ بعد ثلاثة أيام من تولي عبد المجيد الثاني الخلافة، وحضره ممثلون من حكومة أنقرة، وضع الإنجليز فيه شروطًا للاعتراف باستقلال تركيا عُرفت بشروط كرزون الأربعة وهي:

1- إلغاء الخلافة العثمانية.

2- قطع كل صلة بالإسلام.

3- إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.

4- اتخاذ دستور مدني بدلًا من دستور تركيا القديم المؤسَّس على الإسلام.

وحاول البعض الالتفاف حول الخليفة، ولكن أتاتورك قد قويت شوكته واستطاع أن يزيح كل من وقف في طريقه، وأعلن إلغاء الخلافة عام 1341هـ وأعلن قيام جمهورية تركيا، وألغى الوظائف الدينية وسلط جنده على السكان يجردون النساء من حجابهن، وجعل من نصوص الدستور أن يكون له تمثال في جميع أنحاء تركيا، وجعل

الأذان باللغة التركية، وجعل كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية بعدما كانت كتابتها بحروف عربية، وغيرها من الجرائم البشعة التي لا يتجرأ على فعلها الكفار.

وهكذا، وبكل الحسرة والألم انتهت آخر خلافة للمسلمين منذ عهد الرسول ﷺ وحتى وقتنا الحالي.

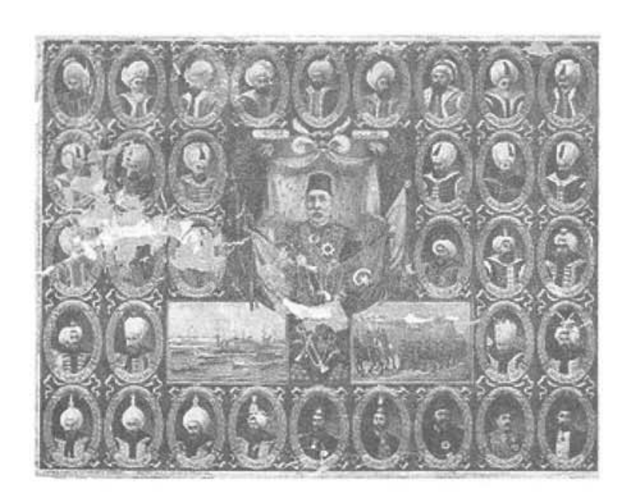
قائمة سلاطين الدولة العثمانية

سلطان الدولة العثمانية





درع الدولة العثمانية



السلاطين العثمانيون من عثمان الأول إلى محمد الخامس

أول عاهل	عثمان الأول
آخر عاهل	محمد السادس
الأسلوب	صاحب الجلالة السلطانية[a]
الاقامة الرسمية	قصور في إسطنبول:

- طوب قپو(1460s-1853)
- ضولمابهجه(1853–89)
- يلدز(1889–1909)
- ضولمابهجه(1909–22)

المُعيّن	وراثية
الملكية بدأت	1299
الملكية انتهت	1922

العثمانيون، آل عثمان، الأتراك: سلالة تركية حكمت في الأناضول والبلقان وفي أراض واسعة أخرى، ما بين سنوات ١٢٨٠-١٩٢٢.

قائمة السلاطين



الراية السلطانية العثمانية

السلطان المخلوع (خط غامق) ← هو السلطان الذي لم تنته فترة حكمه بالموت الطبيعي

الفصل الثالث



السلطان سليمان القانوني

نوفمبر ١٥٢٠ حتى وفاته في سنة ١٥٦٦

تولى الحكم وعمره ٢٥ عامًا فقط بعد وفاة والده السلطان سليم الأول في 9 شوال 926هـ - 22 سبتمبر ١٥٢٠م، وبدأ في مباشرة أمور الدولة، وتوجيه سياستها، وكان يستهل خطاباته بالآية الكريمة {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}.. قضى السلطان سليمان القانوني ستة وأربعين عاما على قمة السلطة في دولة الخلافة العثمانية، وبلغت في أثنائها الدولة قمة درجات القوة والسلطان؛ حيث اتسعت أرجاؤها على نحو لم تشهده من قبل، وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في قاراته الثلاث، وامتدت هيبتها فشملت العالم كله، وصارت سيدة العالم يخطب ودها الدول والممالك، وارتقت فيها النظم والقوانين التي تسيّر الحياة في دقة ونظام، من دون أن تخالف الشريعة الإسلامية التي حرص آل عثمان على احترامها والالتزام بها في كل أرجاء دولتهم، وارتقت فيها الفنون والآداب، وازدهرت العمارة والبناء. يعتبر المؤرخون الغربيون هذا السلطان أحد أعظم الملوك على مر التاريخ؛ لأن نطاق حكمه ضم الكثير من عواصم الحضارات الأخرى كـ"أثينا وصوفيا وبغداد ودمشق وإسطنبول وبودابست وبلغراد والقاهرة وبوخارست وتبريز" وغيرهم.

فهو:

سليمان خان الأول بن سليم خان الأول بن بايزيد خان الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول جلبي بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغل (بالتركية العثمانية: سليمان بن سليم؛ بالتركية: Süleyman)، كان عاشر السلاطين الدولة العثمانية وصاحب أطول فترة حكم من ٦ نوفمبر ١٥٢٠ حتى وفاته في ٧/٦/٥ سنة ١٥٦٦ خلفا لأبيه السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني. عرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني (في التركية Kanuni)، لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني.



أصبح سليمان حاكمًا بارزًا في أوروبا في القرن السادس عشر، يتزعم قمة سلطة الإمبراطورية العثمانية العسكرية والسياسية والاقتصادية. قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلغراد ورودوس وأغلب أراضي مملكة المجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا في ١٥٢٩. ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من شمال أفريقيا حتى الجزائر. تحت حكمه، سيطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر حتى الخليج.

في خضم توسيع الإمبراطورية، أدخل سليمان إصلاحات قضائية تهم المجتمع والتعليم والجباية والقانون الجنائي. حدد قانونه شكل الإمبراطورية لقرون عدة بعد وفاته. لم يكن سليمان شاعرا وصائغا فقط بل أصبح أيضا راعيا كبيرا للثقافة ومشرفا على تطور الفنون والأدب والعمارة في العصر الذهبي للإمبراطورية العثمانية. تكلم الخليفة أربع لغات: العربية والفارسية والصربية الجغائية (لغة من مجموعة اللغات التركية مرتبطة بالأوزبكية والأويغورية).

اللقب الكامل

صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان سليمان الأول، حاكم بيت عثمان، سلطان السلاطين، خان الخانات، أمير المؤمنين وخليفة رسول الله في الأرض ،حامي المدن المقدسة الثلاث مكة والمدينة والقدس، امبراطور المدن الثلاث القسطنطينية وأندرينوبول وبورصة ودمشق والقاهرة وأرمينيا كلها والمغريس وبركة والقيروان وحلب وعراق العرب والعجم والبصرة والأحساء وديلان والرقة والموصل وبارثية وديار بكر وقيليقية وولاية إرزوروم وسيفاس وأضنة وكارامان وفان وأرض البربر والحبشة وتونس وطرابلس ودمشق وقبرص ورودوس وكنـْدية وولاية موريا وبحر مرمرة والبحر الأسود وشواطئه وأناطوايا وروميليا وبغداد وكردستان واليونان وتركستان وتاتاريا وسيركاسيا ومنطقتي كاباردا وجورجيا وسهل كبشاك وكل بلاد التتر وكيفة والبلاد المجاورة لها والبوسنة وتوابعها ومدينة وقلعة بلغراد وولاية صربيا وقلاعها ومدنها وحصونها وكل ألبانيا وإفلاق وبلاد بغدان كما توابعها وحدودها، وعدة مدن وبلدان أخرى.

ولد سليمان في طرابزون الواقعة على سواحل البحر الأسود يوم ٦ نوفمبر ١٤٩٤، لوالدته عايشه حفصة سلطان أو حفصة حاتون سلطان التي ماتت في ١٥٣٤. حينما بلغ سبع سنوات، ذهب ليدرس العلوم والتاريخ والأدب والفقه والتكتيكات العسكرية في مدارس الباب العالي في القسطنطينية. اصطحب في طفولته إبراهيم، وهو عبد سيعينه لاحقًا صدرًا أعظم في المستقبل.

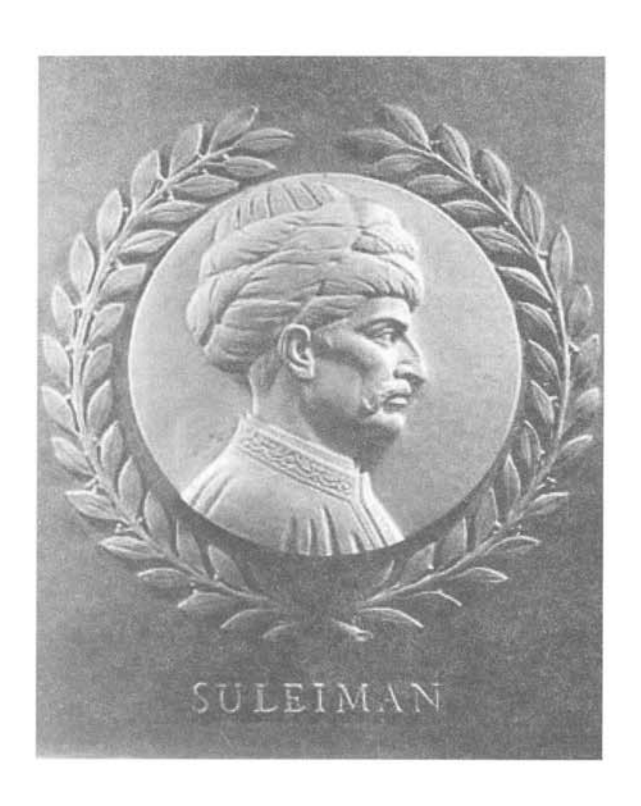
تولى سليمان الشاب وعمره سبعة عشر سنة منصب والي فيودوسيا ثم ساروخان (مانيسا) ولفترة قصيرة أدرنة. بعد وفاة والده سليم الأول (١٤٦٥ ــ ١٥٢٠)، دخل سليمان القسطنطينية وتولى الحكم كعاشر السلاطين العثمانيين.

تولية السلطان سليمان القانوني

تولى السلطان سليمان القانوني بعد موت والده السلطان سليم الأول في ٩ شوال ٩٢٦هـ ـ ٢٢ سبتمبر١٥٢٠م، وبدأ في مباشرة أمور الدولة، وتوجيه سياستها، وكان يستهل خطاباته بالآية الكريمة {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} والأعمال التي أنجزها السلطان في فترة حكمه كثيرة وذات شأن في حياة الدولة.

في الفترة الأولى من حكمه نجح في بسط هيبة الدولة والضرب على أيدي الخارجين عليها من الولاة الطامحين إلى الاستقلال، معتقدين أن صغر سن السلطان الذي كان في السادسة والعشرين من عمره فرصة سانحة لتحقيق أحلامهم، لكن فاجأهم عزيمة السلطان القوية التي لا تلين، فقضى على تمرد "جان بردي الغزالي" في الشام، و"أحمد باشا" في مصر، و"قلندر جلبي" في منطقتي قونيه ومرعش، الذي كان شيعيًا جمع حوله نحو ثلاثين ألفًا من الأتباع للثورة على الدولة.

لقد بلغت مساحة الدولة العثمانية فى عهد سليم الأول ٦٠٥ ملايين كم مربع ، أما فى عهد سليمان؛ فقد وصلت إلى ١٥ مليون كم مربع.



معاهدات ومعارك وفتوحات

تعددت ميادين القتال التي تحركت فيها الدولة العثمانية لبسط نفوذها في عهد سليمان فشملت أوروبا وآسيا وأفريقيا، فاستولى على بلجراد سنة ٩٢٧هـ - ١٥٢١م وجزيرة رودس سنة ٩٢٩هـ، وحاصر فيينا سنة ٩٣٥هـ - ١٥٢٩م لكنه لم يفلح في فتحها، وأعاد الكرّة مرة أخرى ولم يكن نصيب تلك المحاولة بأفضل من الأولى. ضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودابست، وجعلها ولاية عثمانية.

وفي إفريقيا، فتحت ليبيا والقسم الأعظم من تونس، وإريتريا، وجيبوتي والصومال، وأصبحت تلك البلاد ضمن نفوذ الدولة العثمانية.

فتح بلغراد

بعيد خلافة والده في السلطة، بدأ سليمان سلسلة من المواجهات العسكرية، ومن ضمنها إخماد ثورة دعمها حاكم دمشق في ١٥٢١. توجه سليمان بعد ذلك مع صدره الأعظم بيري محمد باشا إلى بلغراد وأعد العدة لغزو مملكة المجر ونجح في ما فشل فيه جده الأكبر محمد الثاني حيث كان المجريون الأعداء الوحيدين المتبقين بعد سقوط البيزنطيين والصرب والبلغار الذين يستطيعون ردعه من مواصلة فتوحاته في أوروبا. حاصر سليمان وجيشه بلغراد ودكها بالمدفعية في قصف شنه من جزيرة مجاورة على نهر الدانوب فلم يبق للرجال السبع مئة إلا الاستسلام في ١٥٢١.

انتشر خبر فتح بلغراد كالنار في الهشيم، واحدة من أكثر قلاع المسيحيين حصانة، وانتشر معه الخوف عبر أوروبا. كما ذكر ذلك سفير الإمبراطورية الرومانية المقدسة: كان فتح بلغراد أصل عدة أحداث درامية ضربت المجر أبرزها موت الملك لويس الثاني واحتلال بودا وضم ترانسيلفانيا وتدمير مملكة مزدهرة وخوف البلدان المجاورة التي خافت مواجهة المصير نفسه".

إقليم الفلاخ

في ١٥٢٤ أراد السلطان أن يجعل إقليم الفلاخ ولاية عثمانية، ولم يكن للدولة عليه إذ ذاك إلا السيادة والجزية، فسير إليه جيشًا استولى على عاصمتها وعلى أميرها، وأرسلوه إلى الاستانة، فسار الأعيان وقاموا بتعيين خلفًا لهم، ووافق السلطان على من اختاروه مقابل زيادة الجزية.

فتنة الانكشارية

في ٢٥ مارس ١٥٢٥م؛ تذمر الانكشارية بعد عودة السلطان من مدينة أدرنة التي كانت مكانًا يقضي فيه فصل الشتاء، ونهبوا سراي إبراهيم باشا الصدر الأعظم الذي كان في هذا الوقت بمصر، ونهبوا عدة أماكن أخرى من منازل الأعيان وحارة اليهود، ولكن السلطان تدارك الأزمة بأن قام أولًا: بتوزيع ألف دوكا عليهم، وعزل بعض رؤساءهم الذين كانوا السبب في العصيان، كما قام بقتل البعض منهم تأديبًا للقادة الآخريين منهم.

الحلف مع فرنسا

كان عهد السلطان سليمان القانوني يمثل رأس الهرم بالنسبة لقوة الدولة العثمانية ومكانتها بين دول العالم آنذاك. ويعتبر عصر السلطان سليمان هو العصر الذهبي للدولة العثمانية، إذ شهدت سنوات حكمه من ٩٢٦-٩٧٢هـ، الموافق ١٥٢٠ — ١٥٦٦م توسعًا عظيمًا لم يسبق له مثيل، وأصبحت أقاليم الدولة العثمانية منتشرة في ثلاث قارات عالمية.

وكان لهذا البروز أثره على دول العالم المعاصرة وبالأخص على دول أوروبا التي كانت تعيش انقسامات سياسية ودينية خطيرة، ولهذا تنوعت مواقف الدول الأوروبية من الدولة العثمانية حسب ظروف كل دولة.

وكان "تشارلز الخامس" ملك الامبراطورية الرومانية المقدسة ينافس "فرانسوا الأول" ملك فرنسا على كرسي الحكم للإمبراطورية الرومانية، وكان البابا ليو العاشر منافسًا للراهب الألماني مارتن لوثر زعيم المقاومة البروتستانتية وكانت بلغراد تعاني من اضطرابات داخلية بسبب صغر سن ملكها لويس الثاني؛ ما أدى الى نشوب النزاع بين الأمراء، ولهذا رأى "فرانسوا الأول" أن يستغل مكانه وقوة الدولة العثمانية ويكسبها

صديقًا له، فوقف منه موقف التودد والرغبة في الوفاق؛ معتقدًا أن الدولة العثمانية هي التي ستحد من طموحات "تشارلز الخامس".

وقابل "السلطان سليمان" السفير الفرنساوي في ٦ ديسمبر ١٥٢٥ باحتفال زائد وأجزل له العطايا، وبعد أن عرض عليه السفير مطالب ملكه، وعده السلطان بمحاربة المجر، ولكن لم تمض بينهما معاهدة؛ بل اكتفى السلطان بأن كتب لملك فرنسا جوابًا يظهر له فيه استعداده لمساعدته وهذا نصه:

ترجمة الجزء الأول من تاريخ " جودت باشا":

"الله العلي المعطي المغني المعين، بعناية حضرة عزة الله، جلت قدرته، وعلت كلمته وبمعجزات سيد زمرة الأنبياء، وقدوة فرقة الأصفياء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات، وبمؤازرة قدس أرواح حماية الأربعة.. أبي بكر، عمر، عثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين وجميع أولياء الله، أنا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين متوج الملوك ظل الله في الأرضين سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والأناضول والروملي وقرمان الروم وولاية ذي القدرية وديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضًا، التي فتحها آبائي الكرام وأجدادي العظام بقوتهم القاهرة، أنار الله براهينهم وبلاد أخرى كثيرة أفتتحها يد جلالتي بسيف مظفر، أنا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان، إلى فرنسيس ملك فرنسا وصل إلى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم فرانقبان النشيط مع بعض الأخبار التي أوصيتموه بها شفاهيًا وأعلمنا أن عدوكم استولى على بلادكم وأنكم الآن محبوسون وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل، فصار بتمامه معلومًا؛ فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم، فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر، فإن آبائي الكرام وأجدادى العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو، ونحن

أيضا سالكون على طريقتهم وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة وخيولنا ليلا نهارًا مسروجة وسيوفنا مسلولة، فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته ومشيئته، وأما باقي الأحوال والأخبار تفهمونها من تابعكم المذكور؛ فليكن معلومكم هذا.

تحريرًا في أوائل شهر آخر الربيعين سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة بمقام دار السلطنة العلية
القسطنطينية المحروسة المحمية".

ومما يثبت هذا التوجه الفرنسي ما ذكره للسفير الفينسي عندما قال: سعادة السفير لا يمكنني أن أنكر أنني أرغب بشدة في أن أرى الأتراك أقوياء جدًا ومستعدون للحرب، ليس فقط لمصلحة السلطان العثماني الذاتية، بل لإضعاف قوة الإمبراطور تشارلز الخامس وتكليفه غاليًا، وإعطاء جميع الحكومات الأمن والأمان ضد عدو عظيم كهذا" الإمبراطور تشارلز" بدأت مفاوضات فرنسا مع الدولة العثمانية بعد معركة "بافيا" التي أسر فيها ملك فرنسا "فرانسوا الأول" عام ١٥٢٥م، فأرسلت والدته والوصية على العرش مبعوثها "جون فرانجيباني" ومعه خطاب منها وخطاب من الملك الأسير يطلبان فيهما مهاجمة قوات عائلة الهابسبرج وإطلاق سراح الأسير.

وعلى الرغم من أن الأسير أطلق بموجب معاهدة تم عقدها في مدريد بين فرنسا وأسرة الهابسبرج سنة ١٥٢٦م؛ فإن فرنسوا، بعد إطلاق سراحه أرسل في عام ٩٤١هـ/١٥٣٥م سكرتيره "جان دي لافوريه" إلى السلطان سليمان بهدف عقد تحالف في شكل معاهدة سُميت فيما بعد بـ "معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية"، ونظرًا لما ستكون عليه هذه المعاهدة من أهمية كبرى بعد ذلك نورد هنا أهم نصوصها:

ـ حرية التنقل والملاحة في سفن مسلحة وغير مسلحة بحرية تامة.

ـ حق التجارة والمتاجرة في كل أجزاء الدولة العثمانية بالنسبة لرعايا ملك فرنسا.

ـ تدفع الرسوم الجمركية وغيرها من الضرائب مرة واحدة في الدولة العثمانية.

ـ الضرائب التي يدفعها الفرنسيون في الدولة العثمانية هي نفسها التي يدفعها الرعايا الأتراك.

ـ حق التمثيل القنصلي، مع حصانة قنصلية لأقاربه وللعاملين معه.

ـ من حق القنصل الفرنسي النظر في القضايا المدنية والجنائية التي يكون أطرافها من رعايا ملك فرنسا، وأن يحكم في هذه القضايا، وإنما للقنصل الحق في الاستعانة بالسلطات المحلية لتنفيذ أحكامه.

ـ في القضايا المختلفة التي يكون أحد أطرافها رعية من رعايا السلطان العثماني، لا يُستدعى ولا يستجوب رعية الملك الفرنسي ولا يُحاكم إلا بحضور ترجمان القنصلية الفرنسية.

ـ إفادات رعية الملك في القضايا مقبولة ويؤخذ بها عند إصدار الحكم.

ـ حرية العبادة لرعايا الملك.

ـ منع استعباد رعية الملك.

وكان من نتائج هذه المعاهدة زيادة التعاون بين الأسطولين الفرنسي والعثماني وشن الأسطول العثماني هجمات قوية على شواطئ مملكة نابولي التي كانت تابعة لـ"شارل كنت"، وفي عام ١٥٤٣م تجمعت وحدات الأسطولين العثماني والفرنسي وهاجمت "نسير" التابعة لدوق سافوي حليف شارل كنت، واستفادت فرنسا من تقاربها مع الدولة العثمانية عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا، واتخذت من المعاهدة السابقة وسيلة لفتح أبواب التجارة مع المشرق من دون الخضوع للاحتكار التجاري الذي فرضته البرتغال بعد اكتشافها طريق رأس الرجاء الصالح، كما حصلت بموجبها على الحق

الكامل في الحماية تحت علمها رعايا الدول الغربية الأخرى؛ ما جعل لها مكانة مرموقة بين دول الغرب الأوروبي.

هذه المعاهدة بكل أسف لم يستفد منها رعايا الدولة العثمانية، وكأنها عقدت فقط لتلبية المطالب الغربية، وتحقيق مصالح الأعداء من دون مقابل يذكر، وقد كانت هذه المعاهدة الأساس الذي بني عليه وسار على نهجه الكثير من المعاهدات التي عقدت فيما بعد بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية بصفة عامة.

لقد أثمر هذا الحلف بين الدولتين في نهاية الأمر عن إضعاف ممالك شارل الخامس والجمهوريات الإيطالية، فعلى الرغم أن الفرنسيين لم يستطيعوا الانتصار على الإسبان في الغرب؛ فإن شارلكان خسر أراضي عديدة من أوروبا الشرقية، كما قامت القوات البحرية العثمانية ـــ الفرنسية بقيادة خير الدين بربروس باستعادة مدينة "نيس وجزيرة كورسيكا" لصالح الفرنسيين، كما انتصرت الأساطيل العثمانية للفرنسيين على البحرية الإسبانية والإيطالية في مواقع عديدة.

أراد الحلف الفرنسي العثماني غزو إيطاليا بسبب:

ثراء المدن الإيطالية وازدهار ثقافاتها. وجود مقر البابا قائد المسيحية في روما، وبالفعل توجه سليمان الأول بمئة ألف جندي لمهاجمة إيطاليا من الشرق، وهبط خير الدين بربروس من جهة الجنوب في ميناء أوترانة الإيطالي كما تقدم الفرنسيون من جهة الغرب الإيطالي، وكان الهدف من هذا هو هجوم واحد وكبير من ثلاثة جهات، إلا أن توجس الملك الفرنسي من أن يتهم بالردة عن المسيحية من قبل العامة ورجال الدين (لتعاونه عسكريا مع دولة مسلمة)؛ جعله يعلق عملياته العسكرية ويكتفي بمهادنة شارلكان، ولو أن الحملة العسكرية المشتركة تمت كما خطط لها لغدت إيطاليا بكاملها ولاية عثمانية.

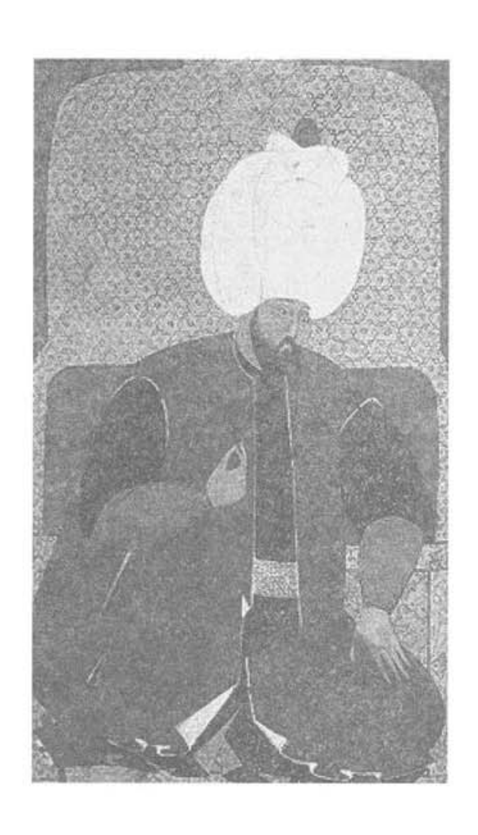
لقد كانت تلك الامتيازات التي أعطيت للدولة الفرنسية أول مسمار يدق في نعش الدولة العثمانية ظهرت آثاره البعيدة فيما بعد.

وفي أواخر أيام الدولة العثمانية صارت دول أوروبا النصرانية تتدخل في شؤونها تحت حماية الامتيازات وللدفاع عن نصارى الدولة، الذين كانوا يعدون رعايا للدول الأجنبية؛ خصوصًا في بلاد الشام.

تداخل الدولة العلية في بلاد القرم والفلاخ وفتنة الانكشارية

حصلت بعض الفتن الداخلية في بلاد القرم، وذلك أن "غازى" و"بابا" ولدي كراي خان القرم، ثارا على والدهما وعمهما فقتلاهما سنة ٩٢٩ سنة ١٥٢٢م، وتقلد غازي كراي أكبرهما الإمارة، وجعل أخاه وزيرًا، له لكن لم يقبل السلطان ذلك، بل عين عمهما "سعادت كراي"، خانا" بدل أخيه "محمد كراي" المقتول وأمده بجيش من الإنكشارية؛ فقبل غازي تعيين عمه وصار وهو وزيرًا له، وبعد ذلك بستة أشهر قتل غازي وأخوه بابا بأمر عمهما سعادت.

وفي سنة ٩٣٨ هجريًا (١٥٣١م)؛ قام أخوهما إسلام كراى واستولى على الإمارة، وفر سعادت إلى القسطنطينية، ومكث بها حتى توفي سنة ١٥٣٧، ودفن بجامع أبي أيوب بالآستانة، وكانت نتيجة هذه الفتن زيادة تدخل الدولة العثمانية في أمور بلاد القرم حتى في تعيين أمرائها، وصارت بذلك ولاية عثمانية.



فتح جزيرة رودس

أراد العثمانيون فتح جزيرة رودس لموقعها الاستراتيجي في البحر المتوسط، ومنعا لأية أساطيل بحرية معادية من العسكرة فيها خلال أوقات الحروب، ولقد استغل السلطان سليمان الأوضاع السياسية التي كانت تمر فيها أوروبا آنذاك من صراعات بين ملوكها وأساقفتها وأمرائها.

عندما أبى رهبان الجزيرة تسليمها إلى العثمانيين، دكت المدفعية العثمانية جدران حصنها المنيع الذي كان يعد أحد أشد الحصون مناعة في العالم في ذلك الحين، ويقال إن القوة البرية العثمانية حفرت ما يقارب ٥٠ سردابا تحت الحصن، وشنوا هجوما على

المدينة من تحت الأرض، ولكن القوة المدافعة تفانت في الدفاع عن الجزيرة وردت هذا الهجوم المفاجئ، كما دافعوا بكل قوة عن حصن جزيرتهم، ويروى أن نساء رودس كانت تعاون رجالها ورهبانها في الدفاع عن أسوار الجزيرة، ولما انقطعت الحلول من أمام رئيس الرهبان مع نفاد مؤنته وذخيرته.. آثر التسليم في سنة ٩٢٩هـ.

بعد دخول الخليفة العثماني رودس ظافرًا، اختار كبار القساوسة وفرسانهم مغادرة الجزيرة، فاتجهوا إلى مالطا وأقاموا فيها (وعرفوا بـفرسان القديس يوحنا الأورشليمي أو فرسان مالطا)، وحاصرها البحرية العثمانية في نهاية عهد القانوني، ولكن من دون أن تفلح في فتح الجزيرة بسبب دخول الحصار فترة الشتاء.

عقد فرانسيس الأول وسليمان القانوني التحالف الفرنسي العثماني ابتداءً من ١٥٣٠

ضم سليمان أراضي واسعة شرق المغرب. أصبحت الدول البربرية وهي طرابلس وتونس والجزائر ولايات ذاتية الحكم في الإمبراطورية وشكلت طليعة جيش سليمان في صراعه مع شارل الخامس، الذي حاول إخراج العثمانيين منها وفشل في ١٥٤١. تتابعت عمليات الجهاد البحري الذي تزعمته هذه الدول في إطار الحرب ضد إسبانيا. لفترة قصيرة أمنت التوسعات البحرية العثمانية سيطرة لها في المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي حتى ١٥٥٤.



فتح بلاد المجر والتصادم مع النمسا

تحولت طموحات السلطان القانوني إلى بلاد المجر، لاسيما بعد تدهور العلاقات معها المراسلات مع التي دارت مع الفرنسيين الذين تقدموا بطلب لدى السلطان لكي يهاجم المجر لإضعاف ملك شارلكان ورفع شيء من الضغط عن الفرنسيين في الغرب.

حشد سليمان الأول الجيوش وسار بها نحو بلاد المجر عبر بلغراد، وبعد عدة فتوحات التقى بالجيش المجري في منطقة موهاكس وجرت معركة موهاكس الفاصلة سنة ٩٣٢هـ - ١٥٢٦م التي انتهت بانتصار العثمانيين وتسلم سلطانهم مفاتيح عاصمة المجر بود (وتعني البلد العالي)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بودابست كانت عبارة عن مدينتين منفصلتين آنذاك وهما: بود وبست. استيقظت المقاومة المجرية لكنها فشلت، وأصبح العثمانيون القوة المسيطرة في أوروبا الشرقية. وعندما رأى السلطان جثة لويس الهامدة عبر سليمان عن أسفه قائلا:

"قدمت بالفعل مسلحا إليه ولكن لم تكن نيتي أن يقتل هكذا وهو لم يذق حلاوة الحياة والملك بعد".

عند عودة سليمان الأول من بلاد المجر اصطحب السلطان معه الكثير من نفائس البلاد وخاصة كتب كنيسة ماتياس كورفن، وهي كنيسة اعتاد الأوروبيون على تسميتها بكنيسة التتويج؛ لأن الملوك الأوروبية كانت تتوج فيها، وحول المسلمون تلك الكنيسة إلى مسجد وأضيفت إليها النقوش العربية، وأعيد المسجد كنيسة عندما خرج العثمانيون من هنغاريا وبقيت النقوش العربية حتى يومنا هذا.



شمال إفريقيا والبحر المتوسط

بعد تثبيت أقدامه على أراضي الإمبراطورية، استقبل سليمان أنباء عن أن قائد أساطيل شارل الخامس.. أندريا دوريا.. احتل حصون كوروني في موريا (حاليا بيلوبونيز). أرق التواجد الإسباني في شرق البحر المتوسط بال سليمان، الذي رأى منافسة ضمنية للسيطرة العثمانية في المنطقة. لتأكيد القوة البحرية للعثمانيين في المتوسط؛ كلف سليمان قائدًا بحريًا خاصًا ممثلًا في شخص "خير الدين بربروس" المعروف لدى الأوروبيين باسم "بارباروسا".

عند توليه منصبه، قام بارباروسا بإعادة بناء الأسطول العثماني ليبلغ عدد سفنه مجموع سفن أساطيل الدول المتوسطية مجتمعة. في ١٥٣٥ انتصر شارل الخامس على العثمانيين في تونس، ومع الحرب ضد جمهورية البندقية في العام التالي؛ قبل سليمان اقتراحات فرانسوا بالتحالف.

في ١٥٣٨ هزم بارباروسا الأسطول الإسباني في معركة بروزة وأمن شرق المتوسط للترك لأكثر من ٣٣ سنة حتى الهزيمة في معركة ليبانتو.

ضم سليمان أراضي واسعة شرق المغرب. وأصبحت الدول البربرية وهي طرابلس وتونس والجزائر ولايات ذاتية الحكم في الإمبراطورية، وشكلت طليعة جيش سليمان في صراعه مع شارل الخامس الذي حاول إخراج العثمانيين منها وفشل في ١٥٤١ م. تتابعت عمليات الجهاد البحري الذي تزعمته هذه الدول في إطار الحرب ضد إسبانيا، ولفترة قصيرة أمنت التوسعات البحرية العثمانية سيطرة لها في المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي حتى ١٥٥٤، حين هزمت الإمبراطورية البرتغالية السفن العثمانية، فأخذ البرتغاليون هرمز (مضيق هرمز) في ١٥١٥، واستمرت منافستهم لسليمان للسيطرة على عدن (حاليا في اليمن).

الامتيازات القنصلية

في أوائل شهر فبراير سنة ١٥٣٦م؛ تم الاتفاق بين المسيو لافوري سفير فرنسا والباب العالي، وصدر به خط شريف يمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الممالك المحروسة.. وهذا نصها:

"البارون دي تستا.. ليكن معلومًا إلى العموم أنه في سنة ٩٤٢ من الهجرة المحمدية ــ فبراير ١٥٣٦م؛ قد اتفق بمدينة الاستانة العلية كل من المسيو "جان دي لافوري" مستشارًا وسفير صاحب السعادة الأمير "فرانسوا" المتعمق في المسيحية ملك فرنسا، المعين لدى الملك العظيم ذي القوة والنصر السلطان سليمان خاقان الترك إلى آخر ألقابه والأمير الجليل ذي البطش الشديد سر عسكر السلطان، بعد أن تباحثا في مضار الحرب وما ينشأ عنها من المصائب وما يترتب على السلم من الراحة والطمأنينة على البنود الآتية:

الأول: قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الأعظم وملك فرنسا على السلم الأكيد والوفاق الصادق مدة حياهما، وفي جميع الممالك والولايات والحصون والمدن والموانئ والثغور والبحار والجزائر وجميع الأماكن المملوكة لهما الآن، أو التي

تدخل في حوزتهما فيما بعد؛ ليجوز لرعاياهما وتابعيهما السفر بحرًا بمراكب مسلحة أو غير مسلحة والتجول في بلاد الطرف الآخر على حسب رغبتهم بكامل الحرية.

الثاني: يجوز لرعايا وتابعي الطرفين البيع والشراء والمبادلة في جميع السلع غير الممنوع الاتجار فيها ولسيرها ونقلها برًا وبحرًا من مملكة إلى أخرى، مع دفع العوائد والضرائب المعتادة قديمًا؛ ليدفع الفرنسيون في البلاد العثمانية ما يدفعه الأتراك ويدفع الأتراك في البلاد الفرنسية ما يدفعه الفرنسيون من دون أن يدفع أي من الطرفين عوائد أو ضرائب أو مكوس.

ثالثًا: كلما يعين ملك فرنسا قنصلًا في مدينة القسطنطينية أو ف بيرا أو غيرها يتم معاملته بطريقة لائقة ويحكم بمقتضى قانونه في جميع ما يقع في دائرته من القضايا المدنية والجنائية بين رعايا ملك فرنسا، وإذا امتنع أحد من رعايا السلطان عن تنفيذ قرار القنصل؛ فيستعين برجال السلطان لتنفيذ الأوامر الصادرة.

رابعًا: لا يجوز سماع الدعاوى المدينة التي يقيمها الأتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا جلالة السلطان ضد التجار أو غيرهم من رعايا فرنسا أو الحكم عليهم فيها.. ما لم يكن مع المدعين سندات رسمية أو الحجج.

خامسًا: لا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأموري الحكومة العثمانية سماع أي دعوة جنائية أو الحكم ضد تجار ورعايا فرنسا بناء على شكوى الأتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا الدولة العليا.

سادسًا: لا يجوز محاكمة التجار الفرنسيين ومستخدميهم وخادميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أو السنجق بك؛ بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالي.

سابعًا: لو تعاقد واحد أو أكثر من رعايا فرنسا مع أحد العثمانيين أو اشترى منه بضائع أو استدان منه نقودًا ثم خرج من الأراضي العثمانية قبل الإيفاء بالمبلغ؛ فلا يسأل القنصل أو أقارب الغائب.

ثامنًا: لا يجوز استخدام التجار الفرنساويين أو مستخدميهم أو خدامهم أو سفنهم أو ما يوجد بها من لوازم ومدافع وذخائر جبرًا في خدمة جلالة السلطان الأعظم أو غيره في البر أو البحر.. ما لم يكن ذلك بطوعهم.

تاسعًا: يكون لتجار فرنسا ورعاياها الحق في التصرف في جميع متعلقاتهم بالوصية بعد موتهم، وعند وفاة أحد منهم وفاة طبيعية أو قهرية عن وصية؛ فتوزع أمواله وتركته على أقاربه، وإن لم يجد.. فلقنصل فرنسا الحق في التصرف بها.

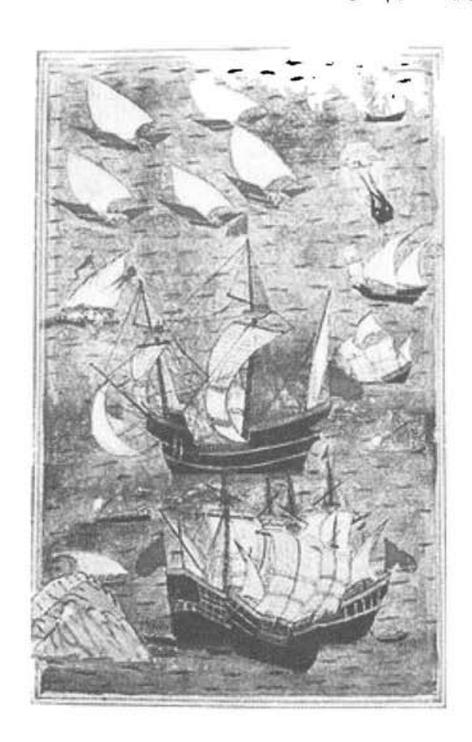
عاشرًا: بمجرد اعتماد جلالة السلطان وملك فرنسا لهذه المعاهدة؛ فجميع رعاياهما الموجودين عندهما أو عند تابعيهما أو على مراكبهما أو سفنهما أو في أي إقليم تابع لسلطتهما في حالة الرق، سواء بشرائهم أو أسرهم وقت الحرب؛ يتم إخراجهم فورًا فورًا من حالة الاسترقاق للحرية.. بمجرد طلب وتقرير القنصل، وإذا قام أحد رعايا الدولة العثمانية باغتصاب أملاك أحد رعايا فرنسا على أراضي الدولة؛ فما على القنصل إلا الإرسال بضبطه ومعاقبة القاضي له ليكون عبرة لغيره.

لقد بلغت بنود تلك المعاهدة ستة عشر بندًا، وكانت تلك المعاهدة بداية لتشجيع الدول الأوروبية لعقد معاهدات مماثلة لتدخل من خلالها في الشئون الداخلية للدولة العثمانية لزرع الضعف والانقسامات بداخلها.

محاربة البرتغاليين

أرسل حاكم مدينة عدن "أحمد آباد" وما حولها رسالة استغاثة إلى الخلافة العثمانية طالبا المساعدة ضد البرتغاليين، الذين اجتاحوا بلاده وتمكنوا من السيطرة على أهم ثغورها، فأرسل السلطان خطابًا إلى سليمان باشا والي مصر، يأمره ببناء عمارة بحرية كبيرة بأسرع ما يمكن وبالفعل قام الوالي ببناء ٧٠ سفينة حربية. اتجه العثمانيون مواجهين نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي، أولًا نحو عدن واحتلوها في ١٥٣٨، لتشكل قاعدة لهجوماتهم ضد الممتلكات البرتغالية في الهند. أخفقوا في إسقاط

موقع ديو في سبتمبر ١٥٣٨، لكنهم عادوا إلى عدن وحصنوها بمئة قطعة مدفعية. استولى "أويس باشا" من العدن على اليمن ابتداءً من قلعة تعز سنة ٩٥٣هـ ١٥٤٦م، ودخلت عُمان والأحساء وقطر تحت نفوذ الدولة العثمانية بعد إحكام السيطرة على البحر الأحمر، بدأ سليمان هجمات على الطرق التجارية للسفن البرتغالية المارة نحو الهند، وبدأ حركة تجارية مهمة في القرن السادس عشر مع الهند. تلقى سليمان في ١٥٦٤ استغاثة من بعثته في آتشيه (حاليا في إندونيسيا).. تستدعي تدخلا عثمانيا ضد البرتغال. فاستجاب السلطان وقام بإرسال بعثة العثمانيين إلى آتشيه التي قدمت لهم الدعم العسكري اللازم للرد.



أدت هذه السياسة إلى الحد من نفوذ البرتغاليين في مياه الشرق الأوسط، كما أغاثت البحرية العثمانية الأقاليم المستغيثة في الهند وآتشيه، واستطاع سليمان باشا المذكور أن يسيطر على جميع الحصون التي بناها البرتغاليون.

تجديد التحالف

في ١٥٤٢ بسبب مواجهتهما لعدو واحد هو الهابسبورغ؛ سعى فرانسوا لتجديد التحالف الفرنسي العثماني، واستجابة لذلك؛ بعث السلطان مئة سفينة تحت قيادة باربروسا لمساعدة فرنسا في غرب المتوسط. ضرب باربروسا شواطئ صقلية ونابولي قبل وصوله إلى فرنسا؛ حيث قدم تولون كمقر للبحرية العثمانية. في إطار الحملة هاجم وحاصر باربروسا "نيس" في ١٥٤٣، وبحلول ١٥٤٤؛ انتهى التحالف الفرنسي العثماني مؤقتًا.. بسبب السلام بين فرانسوا وشارل الخامس.

حصار إسرتغون (١٥٤٣).

في عهد شارل الخامس وأخيه فيردناند، أرشدوق النمسا، أعاد الهابسبورغ احتلالهم لهنغاريا. كرد فعل لذلك، عاد سليمان مرة أخرى عبر وادي الدانوب وأعاد غزو بودا وشن في الخريف الذي تلاه حصار فيينا. كان ذلك أكثر عمل عثماني طموحًا في أوروبا وأقصاه امتدادًا نحو الغرب، ولكن انتصر النمساويون بـ ٢٠٠٠٠ رجل، وبذلك أصبحت الأراض الهنغارية فيما بعد ساحة حرب بين النمساويين والعثمانين، وكانت الحرب سجالا بين الطرفين لا تلبث أن تنطفئ حتى تشتعل من جديد، ومالت كفة الانتصار للعساكر العثمانية مما جعل النمسا تدفع الجزية للأستانة في معظم الأوقات، وحاصر السلطان فيينا مرة ثانية ولم يتمكن من فتحها في ١٥٣٢ فانسحب بجيوشه، وذلك لسوء الأحوال الجوية التي كانت تمنع العثمانيين من نقل معدات حصارهم الثقيلة وبعد المسافة عن حاضرة الخلافة وامتداد خطوط الإمداد الطويلة وراء الجيش. بعد ذلك استمر التنافس العثماني–الهاسبورغي حتى مطلع القرن العشرين.



إبرام صلح بين الدولة العثمانية والنمسا

عقب حروب عديدة خاضها السلطان ضد النمسا؛ كان النصر حليفا له في كثير منها، بدأت مفاوضات بين كلتا الدولتين واستمرت المفاوضات حتى عام ١٥٤٧م لعدم اتفاقهما؛ وذلك لسعي السفير الفرنسي "جبريل درامون" طمعًا منه في تجديد علاقات المودة و الحب مع دولته فقط، ولكن عقب موت ملك فرنسا "فرنسوا الأول"؛ تم عقد الصلح بين الدولة العثمانية والنمسا فى ١٩ يونيه ١٥٤٧.

نصوصها:

١. أن تقوم هدنة لمدة خمس سنوات.
٢. يدفع فريناند ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ٣٠.٠٠٠ دوكا نظير ما بقي تحت يده من بلاد المجر.
٣. أن تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولي تحت وصاية أمه "أيزابيلا".

معاهدة بين السلطان وملك فرنسا ١٥٥٣م

الأطراف:

السلطان سليمان القانوني وهنري الثاني ابن فرانسوا الأول

سعى هنرى لتجديد أواصر الألفة والمودة بين كلتا الدولتين والاتحاد؛ للاستعانة بحريتيهما عند الحاجة؛ فأبقى المسيو "جبريل درامون" سفيرًا له بدار السعادة، وأمره بمرافقة السلطان في رحلته على بلاد العجم، وفي عودته زار بيت المقدس؛ فقابله الرهبان والقساوسة بكل احترام وتبجيل لتأييد جميع المعاهدات السابقة؛ كذلك ــ بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بالأراضي العثمانية تحت وصاية فرنسا.

أسباب عقد المعاهدة

نشوب حرب بين دولتي فرنسا والنمسا؛ ما دفع فرنسا لطلب اتحاد البحرية العثمانية مع نظيرتها الفرنسية لفتح جزيرة "كورسيكا" نتيجة لاتفاق أهلها مع شارلكان، ولتكون مركزًا للعمارة البحرية الفرنسية والعثمانية في غزو إسبانيا وإيطاليا؛ فأبرمت في ١ فبراير ١٥٥٣، وشملت المعاهدة تسعة بنود أهمها:

ــ قيام ملك فرنسا بدفع ٣٠٠.٠٠٠ ألف قطعة ذهب راتب الدونامة البحرية، وأن العمارة الفرنسية تكون مرهونة لدى العثمانيين حتى تسديد المبلغ.

ــ أن يقوم جلالة سلطان الترك بتجهيز ستين مركبًا حربيًا ذات ثلاثة صفوف و٢٥ قرصانًا بحريًا، ويرسلها للملك هنري في مدة أربعة أشهر.

ــ إذا أراد الملك هنري استغلال الدونامة العثمانية للإغارة على أماكن غربية يقوم بدفع ١٥٠.٠٠٠ قطعة ذهبية إلى جلالة السلطان.

ــ كل سفينة تابعة للامبراطور أو للمتحالفين الأعداء تقع في الأسر؛ تصير ملكًا لجلالة سلطان الترك.

ــ المدن والأراضي التي تقع في قبضة الدونامة العثمانية؛ تكون مباحة وغنيمة للأتراك بجميع سكانها وملكًا لهم، ولكن يترك امتلاك القرى والكفور والمؤن والذخائر من مدافع البرونز ملكًا للملك هنري.

كل تلك البنود وغيرها كانت ضمانات للدولة العثمانية، ولقد صدق على تلك المعاهدة من جانب الدولة العثمانية "رستم باشا" الصدر الأعظم ومن الجانب الفرنسي "السفير أرامونت" بحضور "سالرنتين" شاهدًا على التوقيع.

وسافرت كلتا العمارتين وفتحت كورسيكا، وشنت غارات على بلاد كلابريا وصقلية من أعمال إيطاليا، لكن وقوع النفور بين قائدي العمارتين العثمانية والفرنسية؛ أدى إلى افتراق العمارتين ورجع القبودان العثماني إلى الأستانة.

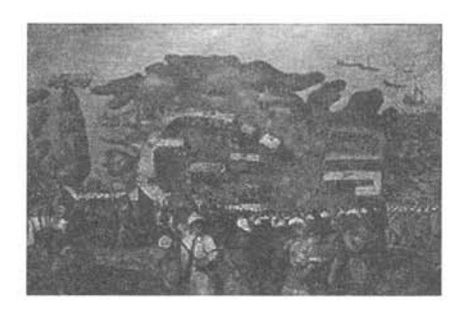
جون سيجسموند ملك المجر مع سليمان في ١٥٥٦.

بحلول أربعينيات القرن السادس عشر، قدم تجدد الصراع في هنغاريا لسليمان فرصة الثأر لهزيمته في فيينا. اقترح بعض النبلاء المجريون أن يتقرب فرندناند الأول (١٥١٩ ــ ١٥٦٤)، حاكم النمسا المجاورة، إلى عائلة لويس الثاني بالزواج ليكون ملك المجر دون ذكر أن اتفاقات سابقة تسمح للهاسبورغ بالاستيلاء على العرش المجري إذا لم يكن هناك وريث للويس. في الطرف الآخر، التف نبلاء مجريون حول جون زابوليا المدعوم من سليمان، والذي لم تعترف به القوى المسيحية بأوروبا. في ١٥٤١ التقى الهابسبورغ بالعثمانيين في صراع آخر، وحاولوا فرض حصار على بودا. بعد صد جهودهم، ووقوع قلاع نمساوية أخرى في يد العثمانيين، اضطر فرديناند وأخوه شارل الخامس إلى توقيع معاهدة مذلة مع سليمان مدتها خمس سنوات. تخلى فرديناند عن أطماعه في مملكة المجر، وأجبر على دفع فدية سنوية إلى السلطان لقاء أراض مجرية استمر في السيطرة عليها. وفي حركة أكثر رمزية نصت المعاهدة على أن شارل الخامس ليس

إمبراطور بل مجرد ملك إسبانيا؛ ما جعل سليمان يعتبر نفسه القيصر الحقيقي. فبعد إذلال أعدائه الأوروبيين؛ أمّن سليمان للإمبراطورية العثمانية دورًا رياديًا في السياسة الأوروبية.

حصار مالطا

في مكان آخر في المتوسط، أعاد فرسان القديس يوحنا تشكيل أنفسهم تحت اسم فرسان مالطة في ١٥٣٠. أثارت أفعالهم ضد سفن المسلمين غضب العثمانيين الذين شكلوا جيشا عظيمًا لطرد الفرسان من مالطة. غزا العثمانيون مالطة في ١٥٦٥، وبدأوا حصار مالطة الكبير الذي بدأ في ١٨ مايو واستمر حتى ٨ سبتمبر وصوره الرسام "ماتيو بيريز داليتشيو" في ردهة سانت ميشيل وسانت جورج. في البداية بدت المعارك كإعادة للمعارك في رودوس، حيث دمرت عدة مدن في مالطة وقتل نصف الفرسان أثناء القتال، لكن سرعان ما وصلت قوة إمداد من إسبانيا نتج عنها ٣٠٠٠٠ قتيل في صفوف العثمانيين.



الفتن التي واجهها السلطان سليمان في أثناء حكمه

ابتلى سليمان في السنوات الأولى في عهده بأربع تمردات شغلته عن حركة الجهاد، حيث ظن الولاة الطموحون أن فرصة الاستقلال بأقاليمهم حان وقتها.



التمرد الأول:

قام "جان بردى الغزالي" والي الشام ــ وسبق له أن تمرد على سلطانه "قنصوه الغوري" بتمرد على الدولة العثمانية، وأعلن العصيان عليها، وحاول أن يستولي على حلب، كما أرسل قواته لاحتلال بيروت واجتهد لاستمالة "خير بك" إلى مصر مبينًا له سهولة النجاح في استقلالهم عن الدولة العثمانية؛ نظرًا لبعدهم عن مركز الخلافة، وحداثة سن السلطان سليمان فكان رد "خير بك" بأنه على استعداد لهذا إذا استولى على قلعة حلب، وكان رده هذا مداهنة إذ سرعان ما أرسل "خيربك" رسالة للسلطان يوضح فيها عرض "جان بيرد" له بالعصيان، فقام السلطان "سليمان" بتعيين "فرحات باشا" أحد وزرائه لقمع هذا التمرد، فقابله عند قلعة حلب ففر "جان بيرد" لدمشق وتحصن فيها؛ فحاصره، وعندما أراد الاشتباك مع القوات العثمانية هزم؛ ففر متنكرًا؛ إلا أن أحد أتباعه قبض عليه وسلمه للوزير "فرحات باشا"، فقطع رأس المتمرد "جان بردي" وأرسله إلى استنبول دلالة على انتهاء التمرد وتولى بدلا منه "إياس بك".

أما التمرد الثاني:

فقد قام به "أحمد شاه" الخائن في مصر، وكان هذا عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م وكان هذا الباشا طامعًا في منصب الصدر الأعظم، ولم يفلح في تحقيق هدفه، وطلب من السلطان أن يعينه واليًا على مصر فعينه. وما أن وصل إلى مصر حتى حاول استمالة الناس وأعلن نفسه سلطانًا مستقلًا، إلا أن أهل الشرع وجنود الدولة العثمانية من الإنكشارية قاموا ضد الوالي المتمرد وقتلوه، وظل اسمه في كتب التاريخ مقرونًا باسم الخائن.

التمرد الثالث:

كان ضد خليفة المسلمين "سليمان" هو تمرد شيعي رافضي قام به "بابا ذو النون" عام ١٥٢٦م في منطقة يوزغاد؛ حيث جمع هذا البابا ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف

ثائر وفرض الخراج على المنطقة، وقويت حركته، حتى إنه استطاع هزيمة بعض القواد العثمانيين الذين توجهوا لقمع حركته، وانتهت فتنة الشيعة هذه بهزيمة بابا ذو النون وأرسل رأسه إلى استانبول.

التمرد الرابع:

كان ضد الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني، كان تمردًا شيعيًا رافضيًا أيضًا، وكان على رأسه "قلندر جلبي" في منطقتي قونية ومرعش، وكان عدد أتباعه ٣٠.٠٠٠ شعي قاموا بقتل المسلمين السنيين في هاتين المنطقتين.

ويقول بعض المؤرخين إن قلندر جلبي جعل شعاره أن من قتل مسلمًا سنيًا ويعتدي على امرأة سنية يكون بهذا قد حاز أكبر الثواب.

فتوجه "بهرام باشا" لقمع هذا العصيان فقتله العصاة، ثم نجحت الحيلة معهم؛ إذ إن الصدر الأعظم إبراهيم باشا قد استمال بعض رجال قلندر جلبي، فقلت قواته وهزم وقتل.

التمرد الخامس:

ظهر باليمن شخص يسمى إسكندر ٩٢٨هجريًا، سعى في الأرض فسادًا؛ فعزم السلطان على إرسال من سيؤدبه، وإذا برجاله أن ثاروا عليه وقطعوا رأسه وبعثوه إلى الآستانة.

التمرد السادس:

عصيت بعض العشائر التركمانية وأمراء ذو القدرية بجهة قرمان، فأرسل السلطان إليهم (حرم باشا) أمير أمراء قرمان؛ فشتت شملهم.

كذلك خرج من يدعى "قلندر" بن الحاجبكتاش الشهير في وجه أماسيا، وتغلب على أمراء الأناضول؛ فذهب إليه الصدر الأعظم "إبراهيم باشا" بجيش جرار؛ فمحاه هو وأعوانه عن قلاع (يانجة ــ بوشدغة ــ صوقول) وغيرها.

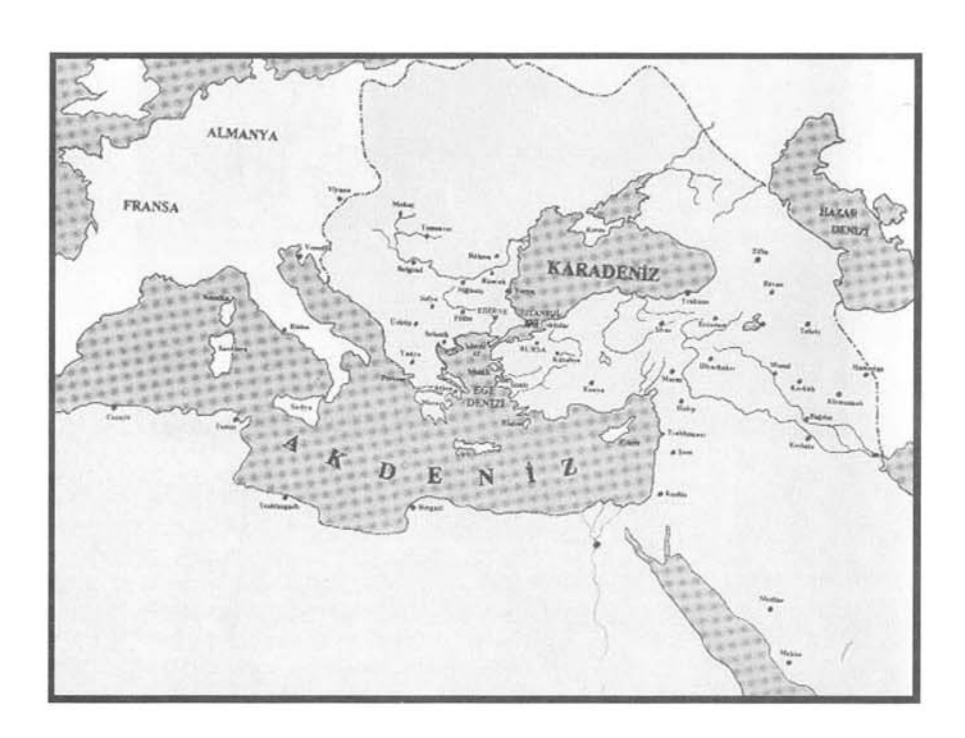


السلطان سليمان الأول

جهاد السلطان سليمان القانوني

استطاع السلطان سليمان القانوني أن يوسع رقعة الدولة الإسلامية في ثلاث قارات حتى أصبحت دولة مترامية الأطراف، وكان سبيله في تحقيق هذا الهدف هو سيفه ودرعه.

وذكر المؤرخون أن عدد ما افتتحه السلطان سليمان القانونى في حياته من الحصون والقلاع والمدن يناهز الـ ٣٦٠ حصنًا!!



وقيل إن جيوش المسلمين وصلت في عهده إلى قلب أوروبا عند أسوار فيينا مرتين.. بل إنه مجدد جهاد الأمة.

السياسة الحربية للدولة العثمانية في أوروبا

استطاع السلطان سليمان القانوني أن يوسع رقعة الدولة الإسلامية في ثلاث قارات حتى أصبحت دولة مترامية الأطراف، وكان سبيله في تحقيق هذا الهدف هو سيفه ودرعه! تعددت ميادين الجهاد التي تحركت فيها الفتوحات الإسلامية وبسط النفوذ في عهد سليمان؛ فشملت أوروبا وآسيا وأفريقيا، فاستولى على بلجراد سنة (٩٢٧ هـ = ١٥٢١م)،وحاصر فيينا سنة (٩٣٥ هـ = ١٥٢٩م) لكنه لم يفلح في فتحها، وأعاد الكَرّة مرة أخرى، ولم يكن نصيبها أفضل من الأولى، وضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها "بودا"، وجعلها ولاية عثمانية.

وفي آسيا قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية، ابتدأت من سنة (٩٤١ هـ = ١٥٣٤م) وهي الحملة الأولى التي نجحت في ضم العراق إلى كنف الدولة العثمانية.

وفي الحملة الثانية سنة (٩٥٥هـ = ١٥٤٨م) أضيف إلى أملاك الدولة "تبريز"، وقلعتا: وان وأريوان.

وأما الحملة الثالثة؛ فقد كانت سنة (٩٦٢هـ = ١٥٥٥م) وأجبرت الشاه "طهماسب" على الصلح وأحقية العثمانيين في كل من أريوان وتبريز وشرق الأناضول.

وواجه العثمانيون نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي، فاستولى "أويس باشا" والي اليمن على قلعة تعز سنة (٩٥٣هـ = ١٥٤٦م)، ودخلت عُمان وقطر والبحر في طاعة الدولة العثمانية، وأدت هذه السياسية إلى الحد من نفوذ البرتغاليين في المياه الإسلامية.

وفي إفريقيا، دخلت ليبيا والقسم الأعظم من تونس، وإريتريا، وجيبوتي والصومال، ضمن نفوذ الدولة العثمانية!

فكان مجدد جهاد الأمة فى القرن العاشر، أقام السنّة وأحيا الملّة وقمع البدعة والروافض، صاحب انتصار المسلمين في معركة "موهاكس" التي كانت من أيام الله الخالدة وتُعد غرة المعارك الإسلامية في شرق أوروبا بعد معركة "نيكوبوليس" وفتح القسطنطينية، وهو أعظم سلاطين الدولة العثمانية وأكثرهم هيبة ورهبة فى قلوب النصارى وأشدهم خطرًا عليهم، وكان من خيار ملوك الأرض !!

لقد قام السلطان سليمان القانوني بثلاث عشرة حملة :

١. الأولى على بلغراد.. ويطلق عليها حملة المجر الأولى أو "أنكروس".

٢. الثانية على جزيرة رودوس والجزر المجاورة.

٣. حملة المجر الثانية أو "أنكروس الثانية" أو "موهاج.

٤. الحملة الرابعة ضد "فيرينانـد".

الحملة الخامسة ١٥٣٢م

قام بها السلطان لكسر شوكة "شارلكان" الألمانى و"فريناند المجري"، فبدأ بفتح أكثر من ١٥ حصنًا وقلعة من أهمها قلعة "كونز" وقد فتحت هذه القلاع الطريق أمام الجيش العثمانى لـــ"سيكلوس" و "كانيجا"، وأخيرًا "الطريق لـــ فينا".

هرب "فريناند" وأخوه من ساحة القتال، وأرسل إليهما السلطان رسائل توبيخ وإهانة، وبعد أن أسترجع مدينة "بودين" فتح مدن "بابوجة" و"شوبرون" ومن العواصم القديمة مدينة "كراد جاش"، و"بوجيكا" و"زاجيسنه" و"نمنجه" و"بوكراد".

وبعد كل تلك الفتوحات رجع لاسطنبول بعد توقيع معاهدة صلح مع الألمان في شهر"تشرين الثاني" ١١ نوفمبر ١٥٣٢.

الحملة السادسة

بعد تثبيت حدوده في أوروبا اتجه سليمان نحو آسيا؛ حيث قام حملات كبرى ضد الدولة الصفوية، لتندلع بذلك الحرب العثمانية الصفوية (١٥٣٢ ـ ١٥٥٥)، ويرجع السبب في ذلك لحدثين بارزين، الأول هو مقتل والي بغداد الموالي لسليمان على يد الشاه طهماسب وتعويضه بموالي له، والثاني تحالف والي بدليس مع الصفويين، ابتدأت من سنة ٩٤١هـ ـ ١٥٣٣م؛ إذ نجحت الحملة الأولى في ضم تبريز وبدليس إلى سيطرة الدولة العثمانية من دون أي مقاومة، حيث ساق الوزير الأول إبراهيم باشا الجيوش وضم العديد من الحصون والقلاع في طريقه كقلعتي وان وأريوان، وعمل الوزير الأول على بناء قلعة في تبريز وترك فيها من الحامية المنظمة ما يكفي لحفظ الأمن العمومي في ١٥٣٤.



وهي التى عرفت بـــ"حملة العراقيين" أو "الحملة الأولى" على إيران، كان "شاه طهماسب" هو المنافس الثاني للسلطان بعد "شارلكان"، وكان يحاول إثارة المتاعب ضد الدولة العثمانية، بينما كان "شرف خان" حاكم بدليس ليكون تابعًا لهوكان "اومالا خان" يؤيد الدولة العثمانية،بينما كان "شرف خان" في جانب الدولة الصفوية، تم إرسال تلك الحملة ١٥٣٣م تحت قيادة الوزير الأعظم "إبراهيم باشا" في أول الأمر، وفي الطريق نحو مدينة "تبريز" فتح الجيش العثماني مدن "عادل جواز" "أرجيش" و"أخلاط"، وفي عام ١٥٣٤ م دخل الجيش العثماني مدينة تبريز، وفي شهر أيلول من العام نفسه التحق السلطان بالحملة، حيث توجه مع جيشه ووصل إلى بغداد بعد أن اجتاز "قاراخان دربندي" وفتح مدنًا عديدة في العراق بالدولة العثمانية منها "كركوك" و"الحلة"، وبعد أن أعلنت نجد والقطيف والاحساء وقطر والبحرين والكويت وجنوبي العراق التحاقها بالدولة العثمانية، جمعت هذه المناطق تحت أيالة واحدة هى أيالة البصرة في ١٧ صفر ٩٤٥هجريًا ــ ٢٤ تموز ١٥٣٨م، وفي هذه الأثناء كان "برباوس خيرالدين" قد فتح تونس وألحقها بالدولة العثمانية.

الحملة السابعة

سيرت هذه الحملة على "البنادقة والجنويين"، وتم الهجوم على مدن "كورفو" و"أوترانتو"، ولكن البنادقة أسرعوا بطلب عقد الصلح مع السلطان وأيد ملك فرنسا هذا الطلب، لذا قفل السلطان عائدًا إلى اسطنبول بعد إتمام الصلح "١٥٣٧م"، وفي أثناء الرجوع أباد السلطان جيشًا كرواتيًا تعرض له في شرقي الكروات قرب مدينة "أوسياك".

الحملة الثامنة

فقد توجهت تلك الحملة الى نحو "قارا بوغدان" أي نحو موالدافيا، وفي أثناء توجه السلطان سليمان القانونيى عام ١٩٣٨ م إلى موالدافيا تم إلحاق السويس واليمن وعدن بالدولة العثمانية، وذلك من قبل "سليمان باشا"، الذي استمر في توجهه إلى الهند وحاصر قلعة" ديو"،في العام نفسه ألحق برباروس خير الدين باشا غربي الجزائر بالدولة العثمانية، ثم حقق انتصارًا ساحقًا في المعركة البحرية المشهورة "بروزا" ضد الاسطول الاوروبي محولا بذلك الأبيض المتوسط إلى بحيرة عثمانية كانت تتوسع على الدوام في منطقة موالدافيا وعلى طول نهر الدانوب.

الحملة التاسعة

وهي حملة بودين في عام ٩٤٨هجريًا ــ ١٥٤١ م وبحلول عام ١٥٤٠ م توفى "يانوش زابوليا" ملك المجر ــ التي كانت تحت الحماية العثمانية ــ فأراد فريناند ملك النمسا احتلال المجر، وقام فعلا بمحاصرة "بودين" و"بودابست"؛ ما دفع السلطان سليمان القانوني لجرد هذه الحملة عليه، وأصبحت المجر في أعقاب هذه الحملة جزءًا من أيالة "بودين".

الحملة العاشرة

فقد قام فريناند بتأييد من الألمان أيضًا بمحاصرة "بودين" و"بودابست"؛ ما دفع السلطان العثماني لجرد هذه الحملة عليه، وأجبر السلطان جيش "فريناند" وحلفاءه الألمان للانسحاب في عام ٩٥٠هجريًا ١٥٤٣م، وطلب الصلح مع الدولة العثمانية، وفي نتيجة الحملة ربطت مدينة "استراكون" التي كانت المركز الديني للمجر ومدينة "استوني ــ بلغراد" مع مركزي سنجقين مهمين بمدينة "بودين" كما استرجعت "بج" و"شيكلوش"، واضطرت جميع الدول الأوروبية إلى قبول المعاهدة المعقودة مع السلطان،

واكتسب السلطان "سليمان القانوني" لقب "سلطان العالم"، ولم يكن هناك من يستطيع استعمال لقب "الامبراطور" سواه.

الحملة الحادية عشرة

كانت حملة موجهة ضد الدولة الصفوية التي اعتادت ضرب الدولة العثمانية من الخلف، وتسمى هذه الحملة "الحملة الإيرانية الثانية"، كذلك في هذه الحملة التي تمت في عامي ١٥٤٨ ــ ١٥٤٩م استرجعت مدينة تبريز.

الحملة الثانية عشرة

"الحملة الإيرانية الثالثة" على إيران، وتمت بين أعوام ١٥٥٣م ــ ١٥٥٤م ويطلق عليها أيضًا اسم "حملة نخجيون"، ففي شعبان ٩٦١ / يوليو ١٥٥٤م وصل السلطان إلى "روان" ومنها توجه إلى "نخجييوان" وفتحها، وعندما انتقل من شمالي أذربيجان إلى جنوبها، طلب شاه إيران الانسحاب بسبب غياب شاه إيران في ميدان الحرب، استقر السلطان في أماصيا، وعندما عقدت معاهدة الصلح في "أماصيا" عام ١٥٥٥م، تم اقتسام جورجيا بين الدولتين، وبقي العراق ضمن حدودها السابقة.

الحملة الثالثة عشرة

لقد بلغ السلطان سليمان بأن ملك الهايسبرج أغار على ثغر من ثغور المسلمين؛ فقام للجهاد من فوره...

ومع أنه كان يتألم من شدة المرض؛ إلا أنه قاد الجيش بنفسه وخرج على رأس جيش عرمرم في ٩ شوال عام ٩٧٣هـ، ٢٩ إبريل عام ١٥٦٦م.. ووصل إلى مدينة سيكتوار المجرية، وكانت من أعظم ما شيّده النصارى من القلاع... وكانت مشحونة بالبارود والمدافع وخرج بالفعل على رأس جيشه، وما كان يستطيع أن يمتطي جواده

لازدياد علة النقرس عليه، وبجانبه وزيره يسانده، فكان يُحمل في عربة، حتى وصل إلى أسوار مدينة سيكتوار.



وابتدأ فى حصارها، وفي أقل من أسبوعين احتلّ معاقلها الأمامية، وبدأ القتال واشتدّ النزال، وكان أصعب قتال واجهه المسلمون لمتانة الأسوار وحصانتها وضراوة النصارى في الدفاع عن حصنهم.

واستمر القتال والحصار قرابة ٥ أشهر كاملة، وما ازداد أمر الفتح إلا صعوبة وازداد همّ المسلمين لصعوبة الفتح، وهنا اشتدّ مرض السلطان وشعر بدنوّ الأجل، فأخذ يتضرع الله تعالى وكان من جملة ما قاله:

"يارب العالمين. افتح على عبادك المسلمين. وانصرهم. واضرم النار على الكفار... إحدى قلاع مدينة سيكتوار المجرية".

فاستجاب الله دعاء السلطان سليمان، فأصاب أحد مدافع المسلمين خزانة البارود في الحصن فكان انفجارًا مهولًا، وفي وصف هذه الحادثة، يقول صاحب نزهة الأنظار:

"فقبل الانفصال اشتدّ بالسلطان سليمان رحمه الله مرضه، وغمرته غمرات الوفاة، وهو مع ذلك رضي الله تعالى عنه يلهج إلى الله القريب المجيب بطلب الفتح القريب، فاستجاب الله دعاءه؛ فأضرمت النار في خزانة بارود الكفّار المخزونة بالقلعة، وكانت موفورة عندهم مهيأة لقتال المسلمين، فأصابها شرر من النّار إجابة لدعاء ذلك الروح المقدّس، فأخذت جانبًا كبيرًا من القلعة؛ فرفعته إلى عنان السماء، وزلزلت الأرض زلزالها إلى تخوم الأرض السلفى، وتطاير جلاميد صخور الحصن، ورمت النار بشرر كالقصر من جدران ذلك الحصن، والتهبت النار وتزايد الدخان حتى امتلأ الفضاء، فضعفت طائفة الكفر وعذبهم الله بنار الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، فتزاحم الشجعان بآلات الحرب مع صدق النية والاعتماد والتوكل على الله تعالى، وطبول الحرب ونيرانه تضرب، وتحاملوا على الكفّار حملة رجل واحد، وتعلقوا بأطرف القلعة، وهجموا عليها من فوق الأسوار، واستشهد من سبقت له من الله العناية، وفتح القلعة من نصره الله من المسلمين، ورفعت الراية السليمانية على أعلى مكان من القلعة، ووقع السيف في الكفار، فقتل منهم من قتل، وأسر من بقي، وعند وصول خبر الفتح للسلطان سليمان الأول فرِح، وحمد الله على هذه النعمة العظيمة، وقال:

الآن طاب الموت، فهنيئًا لهذا السعيد بهذه السعادة الأبدية، وطوبى لهذه النفس الراضية المرضية، من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه".

أشهر رجال عصر السلطان سليمان القانوني

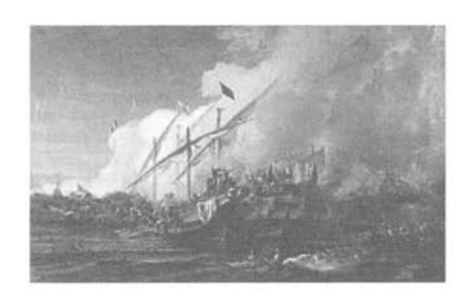
١ــ إبراهيم باشا الصدر الأعظم:

الذي كان على علاقة نسب بالسلطان وأثبت جدارته في ميادين القتال وسبر أغوار الفتن للقضاء عليها، ونال لشجاعته وقوته مكانة كبيرة عند السلطان، ولكن تلك المكانة دفعت البعض ليخشاها؛ فسعى للقضاء عليه وإيغار صدر السلطان عليه وزرع الشك في نفسه، بأن علو مكانته ستمكنه من الانقلاب عليه والاستئثار بالحكم، كل تلك الدسائس كانت من زوجة السلطان "روكسانا"؛ فقام السلطان بقتله في ١٥ مارس ١٥٣٦.

٢ــ خير الدين باربروسا وتطوير البحرية العثمانية

كانت البحرية العثمانية قد نمت نموًا كبيرًا منذ أيام السلطان بايزيد الثاني، وأصبحت مسؤولة عن حماية مياه البحار التي تطل عليها الدولة، وفي عهد سليمان ازدادت قوة البحرية على نحو لم تشهده من قبل بانضمام "خير الدين برباروسا"، وكان يقود أسطولًا قويًا يهاجم به سواحل إسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط، وبعد انضمامه إلى الدولة منحه السلطان لقب "قبودان".

وقد قام خير الدين - بفضل المساعدات التي كان يتلقاها من السلطان سليمان القانوني - بضرب السواحل الإسبانية، وإنقاذ آلاف من المسلمين في إسبانيا، فقام في سنة 935هـ - 1529م بسبع رحلات إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف مسلم من قبضة الحكومة الإسبانية.



وقد وكل السلطان إلى خير الدين قيادة الحملات البحرية في غرب البحر المتوسط، وحاولت إسبانيا أن تقضي على أسطوله، لكنها تخفق في كل مرة وتتكبد خسائر فادحة، ولعل أقسى هزائمها كانت معركة بروزة سنة ٩٤٥هـ - ١٥٣٨م.

وقد انضم أسطول خير الدين إلى الأسطول الفرنسي في حربه مع الهابسيورج، وساعد الفرنسيين في استعادة مدينة نيس 950هـ - 1543م بالإضافة إلى جزيرة كورسيكا.

واتسع نطاق عمل الأسطول العثماني فشمل البحر الأحمر، حيث استولى العثمانيون على سواكن ومصوع، وأخرج البرتغاليين من مياه البحر الأحمر، واستولى العثمانيون على سواحل الحبشة؛ ما أدى إلى انتعاش حركة التجارة بين آسيا والغرب عن طريق البلاد الإسلامية.

٣ــ حسن أغا الطوشي.

التطور الحضاري

كان السلطان سليمان القانوني شاعرًا كتب قصائده تحت الاسم الأدبي "مُحبّي" وخطاطًا يجيد الكتابة، وملمًا بعدد من اللغات الشرقية من بينها العربية، وكان له بصر بالأحجار الكريمة، مغرمًا بالبناء والتشييد، فظهر أثر ذلك في دولته، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى فشيد المعاقل والحصون في رودس وبلجراد وبودا، وأنشأ المساجد

والصهاريج والقناطر في شتى أنحاء الدولة، خصوصًا في دمشق ومكة وبغداد، غير ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة.

وظهر في عصره أشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي، سنان آغا، الذي اشترك في الحملات العثمانية، واطّلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوب خاص، ويعد مسجد سليمان القانوني أو (جامع السليمانية) في إسطنبول الذي بناه للسلطان سليمان في سنة 963هـ - 1557م من أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي.



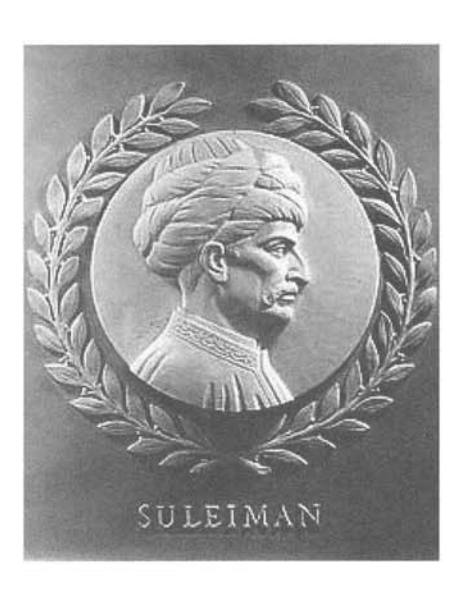


منمنمة عثمانية من كتاب تاريخ السلطان سليمان (٩٨٧ هـ - ١٥٧٩ م)
تصور جنازة السلطان سليمان القانوني

وفي عهده وصل فن المنمنمات العثمانية إلى أوجه. وقد قدّم "عارفي" وثائق الحوادث السياسية والاجتماعية التي جرت في عصر سليمان القانوني في منمنمات زاهية، ولمع في هذا العصر عدد من الخطاطين العظام يأتي في مقدمتهم: حسن أفندي جلبي القره حصاري، الذي كتب خطوط جامع السليمانية، وأستاذه أحمد بن قره حصاري، وله مصحف بخطه، يعد من روائع الخط العربي والفن الرفيع، وهو محفوظ بمتحف "طوبي قابي".

وظهر في عهد السلطان سليمان عدد من العلماء، في مقدمتهم: أبو السعود أفندي صاحب التفسير المعروف باسم "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم".

القانون والإدارة



نقش غائر لسليمان يزين مجلس النواب الأمريكي. وهو واحد من النقوش الثلاثة والعشرين التي تكرم سانّي القوانين عبر التاريخ.

غير أن الذي اشتهر به واقترن باسمه هو وضعه للقوانين التي تنظم الحياة في دولته الكبيرة؛ حيث كان القانون السائد في الإمبراطورية هو الشريعة الإسلامية، وكان تغييرها خارج صلاحيات السلطان. حتى ظهر قانون سليمان الذي غطى مجالات القانون الجنائي وحيازة الأراضي والجبايات، جمع فيه جميع الأحكام التي صدرت من قبل السلاطين العثمانيين التسعة الذين سبقوه. وبعد القضاء على الازدواجية والاختيار بين التصريحات المتناقضة، أصدر مدونة قانونية واحدة، وراعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته، وحرص على أن تتفق مع الشريعة الإسلامية والقواعد العرفية. كانت

هذه الإصلاحات في إطار سعي سليمان، بدعم من المفتي أبو السعود أفندي، إلى إصلاح التشريع للتكيف مع تغيير الإمبراطورية السريع. حينما وصل القانون إلى شكله النهائي سمي *القانون العثماني* (بالتركية: *kanun-i Osmani*) أو قانون السلطان سليمان (بالتركية العثمانية: قانون نامه سلطان سليمان) وبقي جاريًا العمل به قرابة ثلاثمئة سنة أي حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي، كما جعل أكبر الوظائف العلمية وظيفة مفتي، وقسم جيش الإنكشارية إلى ثلاث رتب بحسب سنين خدمتهم.

ولم يطلق الشعب على السلطان سليمان لقب القانوني لوضعه القوانين، وإنما لتطبيقه هذه القوانين بعدالة، ولهذا يعد العثمانيون الألقاب التي أطلقها الأوروبيون على سليمان في عصره مثل: *الكبير*، *والعظيم*، قليلة الأهمية والأثر إذا ما قورنت بلقب *القانوني* الذي يمثّل العدالة.

وكان من القوانين التي سنها القانوني أيضًا: السماح للانكشارية بخوض الحروب من دون خروج الخليفة على رأسهم، والسماح للوزراء بتداول شؤون الدولة في وجود الصدر الأعظم على رأسهم مندوبا عن السلطان، وكان من مساوئ القانون الأول أن ضعفت سيطرة السلاطين التي تلته على الانكشارية، أما الثاني؛ فقد سمح للدسائس أن تحاك على الدولة وعلى السلطان كالدسيسة التي تسببت في مقتل ابنه البكر مصطفى.

أعطى سليمان اهتماما خاصا لحالة الرعايا، وهم العاملون المسيحيون في أراضي السباهى. حيث عدل قانون الرعايا الذي يحكم الجبايات والضرائب التي يدفعها الرعايا ورفع مكانتهم فأصبحوا أحسن من الأقنان إلى حد أن أقنان البلدان المسيحية هاجروا إلى الأراضي العثمانية للاستفادة من الإصلاحات. وأدى السلطان دورًا مهمًا في حماية يهود إمبراطوريته لقرون تالية. في أواخر ١٥٥٣ أو ١٥٥٤ وتحت اقتراح من طبيبه المفضل، موسى حامون الإسباني اليهودي، أصدر السلطان مرسوما يمنع هجو الدم ضد اليهود. وعلاوة على ذلك، سن سليمان قانونا جنائيا جديدا وقانون شرطة جديدا، يحث على مجموعة من الغرامات على المخالفات الخاصة، فضلا عن الحد من الحالات

التي تتطلب القصاص أو التشويه. في المجال الضريبي، كانت الضرائب مفروضة على عدة سلع ومنتجات منها الحيوانات والمعادن والأرباح التجارية ورسوم الاستيراد والتصدير. بالإضافة إلى الضرائب، صادر السلطان أراضي وممتلكات المسؤولين الذين لهم سمعة سيئة.

كان التعليم مجالا مهما للسلطان. منحت مدارس المساجد والتي تمولها المؤسسة الدينية تعليما مجانيا لأطفال المسلمين وكانت متقدمة على تلك في الدول المسيحية في ذلك الوقت. في العاصمة، زاد سليمان عدد الكتابات إلى أربعة عشر تعلم الصغار القراءة والكتابة ومبادئ الإسلام. وأمكن للأطفال الذين رغبوا مواصلة تعليمهم الشروع في واحدة من ثمانية مدارس جامعة، والتي شملت شعبها قواعد اللغة والميتافيزيقيا والفلسفة وعلم الفلك والتنجيم. منحت المدارس الجامعة العليا تعليما بدرجة جامعات اليوم، وأصبح خريجوها أئمة أو معلمين. شملت المراكز التعليمية في كثير من الأحيان واحد من المباني العدة المحيطة بباحات المساجد أما المباني الأخرى فكان بها المكتبات وقاعات الطعام والنوافير ومطابخ الحساء والمستشفيات لصالح العامة.

ولم يكن عهد القانوني العهد الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع، وإنما هو العهد الذي تمت فيه إدارة أعظم دولة بأرقى نظام إداري.

أعماله



قام سليمان القانوني بالعديد من أعمال التشييد، ففي عصره بنى مدينة السليمانية بالعراق العجمي على انقاض قرية قديمة. كما بنى جامع السليمانية الذي بناه المعماري سنان، والتكية السليمانية في دمشق، كما قام بحملة معمارية في القدس من ضمنها ترميم سور القدس الحالي. كما عرف بسنّه قوانين لتنظيم شؤون الدولة عرفت باسم "قانون نامه سلطان سليمان" أي دستور السلطان سليمان، وظلت هذه القوانين تطبق حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وكان ذلك مصدر تلقيبه بالقانوني. ولقد سماه الفرنجه بسليمان العظيم. ويعرف أيضا بلقب سليمان المشرع.

أماكن على اسمه



مسجد السلطان سليمان في ماريوبول، أوكرانيا.

بنى رجل الأعمال التركي صالح سيهان المزداد بطربزون مسجدًا في ماريوبول بأوكرانيا مسجد السلطان سليمان القانوني (بالإنجليزية: Kanuni Sultan Süleyman) في 2005، وهو مفتوح لإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة.

زوجات السلطان سليمان وأولاده

١ــ خروم خاصكي سلطان "أي الباسمة" أو روكسانا:

هي جارية عقد السلطان نكاحه عليها، وهناك خلاف حول نسبها، فهناك من يقول إنها كانت أرثوذكسية من أصل أوكراني، وآخرون يقولون إنها فرنسية أو إيطالية وهي والدة الأمير سليم الثاني والأمير محمد.

٢ــ ماه دوران قادان: بنت عبد الله ووالدة الأمير مصطفى.

٣ــ كلفم خاتون: من الجواري ووالدة الأمير مراد.

٤ــ بنت عبد الله: ووالدة الأمير محمود.

أما أولاده:

١ــ الأمير محمود خان (1512-1521): مات وهو طفل.

٢ــ الأمير مصطفى خان

٣ــ الأمير مراد خان

٤ــ الأمير محمد خان

٥ــ الأمير عبد الله

٦ــ الأميرة مهرماه

٧ــ الأمير سليم

٨ــ الأمير بايزيد

٩ــ الأميرة فاطمة

١٠ــ الأميرة راضية

١١ــ الأمير جهانزكيز

١٢ــ الأمير أورخان

أواخر عهد سليمان القانوني

لقد ذكر التاريخ الأعمال العظيمة التي سطرها السلطان سليمان القانوني، والتي جعلته يتصف بأن عصره وحكمه هو العصر الذهبي للدولة العثمانية؛ لولا أن شائبة لحقت به وكانت نقطة سوداء في تاريخ هذا البطل المغوار؛ ألا وهي قتله لابنه "مصطفى" جراء دسائس الأفعى زوجته "روكسلانة" والاستعانة بالصدر الأعظم رستم باشا الذي كان دمية في يديها؛ فقام السلطان بإصدار أمر قتله لابنه، ولقد رثاه الشعراء ولم يخشوا من بطش السلطان، فقالوا:

يا دهر ويحك ما أبقيت لى جلدًا   وأنت والد سوء تأكل الولدا

وكان رحمة الله محبوبًا من الانكشارية لشجاعته، وكذلك لدى العلماء والشعراء لاشتغاله بالأدب وميله للشعر، وثار الانكشارية وطلبوا من السلطان قتل الوزير "رستم باشا"، ولكن السلطان عزله إرضاءًا لهم وعين بدلًا منه "أحمد باشا"، ولكن سرعان ما اشتعلت دسائس روكسانا؛ فأمر السلطان بقتله وإرجاع "الوزير رستم باشا"، كذلك توفي الابن الآخر للسلطان سليمان "جهانكير" كمدًا وحزنًا على موت أخيه المحبوب لقلبه "مصطفى"، وقيل إنه قتل نفسه أمام والده بعد أن بكته على قتل أخيه.

وسعت الأفعى للتخلص من "بايزيد" الابن الآخر للسلطان حتى ينفرد ابنها "سليم" بالحكم،

وذلك أن مربي بايزيد المدعو "لا له مصطفى" عين ناظرًا خاصة؛ يريد أن يكون سليم سلطانًا،

لذلك خشى مزاحمة بايزيد لسليم على العرش؛ فقام بإيغار صدر السلطان على بايزيد ليقتله، وبالتالي تعيين سليم سلطانًا بعد وفاة السلطان؛ لذلك قام بتنفيذ مؤامرته

للوصول لهدفه؛ فأخذ مصطفى يبحث عن الطريقة الموصلة لهذه الغاية المشئومة حتى هداه عقله الشيطاني لخطة للايقاع بـ"بايزيد"؛ فكتب لبايزيد يقول له إن سليمًا منهمك في الشهوات ولا يليق أن يخلف والده ومع ذلك فوالده مصمم على استخلافه مع عدم أهليته للملك وعدم استعداده للخلافة، وتم تبادل الرسائل بينهما حتى وصل"لا له مصطفى" لمراده؛ فقد كتب بايزيد رسالة فيها تسفيه لسليم وأيضا به عبارات تمس كرامة والده؛ فقام "لا له مصطفى" بتسليم الخطاب إلى سليم الذى سلمه لوالده؛ فغضب السلطان غضبًا شديدًا، وكتب لابنه بايزيد يوبخه على ما أتاه، وطلب في إرساله، فخشي بايزيد أن يكون قصد أبيه الغدر به وامتنع عن التوجه إلى إماسيا وجمع جيشًا يبلغ عدده ٢٠.٠٠٠ وأظهر التمرد؛ فأرسل إليه أبوه الوزير "محمد باشا" الملقب بصقللي لمحاربته، فتقابل الجيشان بقرب قونية واستمر القتال يومي ٣٠ و ٣١ مايو سنة ١٥٦١م، وأخيرًا هزم بايزيد وتقهقر إلى أماسيا ومنها إلى بلاد العجم؛ حيث التجأ هو وأولاده إلى الشاه "طهماسب" فقابله بالاحترام والإخلاص، ولكنه أرسل لوالده سرا على تسليم بايزيد وأولاده، وبالتالى أرسل السلطان الرسل فقتلوهم جميعًا وهم "بايزيد وأولاده الأربعة أورخان ــ محمود ــ عبد الله ــ عثمان" في مدينة قزوين، ونقلت جثثهم إلى مدينة سيواس؛ حيث واراهم الثرى، وكان لبايزيد ابن صغير في مدينة بورصة؛ فخنق أيضًا ودفن في جانب والده وإخوته.

وفاة السلطان سليمان القانوني

في أوائل شهر سبتمبر اشتد مرض السلطان في أواخر أيامه بسبب إصابته مرض النقرس، فكان لا يستطيع ركوب الخيل، فكان قد بلغ من العمر ٧٤ عامًا، ومع ذلك عندما علم بأن ملك الهايسبرج أغار على ثغر من ثغور المسلمين؛ فقام للجهاد من فوره.

ومع أنه كان يتألم من شدة المرض؛ إلا أنه قاد الجيش بنفسه وخرج على رأس جيش عرمرم في ٩ شوال عام ٩٧٣هـ، ٢٩ إبريل عام ١٥٦٦م، ووصل الى مدينة

سيكتوار المجرية وكانت من أعظم ما شيّده النصارى من القلاع، وكانت مشحونة بالبارود والمدافع.

وكان قبل خروجه للجهاد؛ نصحه الطبيب الخاص بعدم الخروج لعلّة النقرس التي به، فكان جواب السلطان سليمان الذي خلده له التاريخ: أحب أن أموت غازيًا في سبيل الله، فأحب أن يتحامل رحمه الله إظهارًا للقوة أمام أعدائه.

وتوفي ٥ سبتمبر ١٥٦٦ عن أربع وسبعين سنة قمرية وكانت مدة ملكة ثمانية وأربعين سنة قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شأنها؛ حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال، وأخفى الوزير خبر موته خوفًا من وقوع الفشل في المعسكر وأرسل لولده سليم بمدينة كوتاهية يخبره بذلك، ويطلب منه الحضور على جناح السرعة إلى الأستانة منعًا للقلاقل.

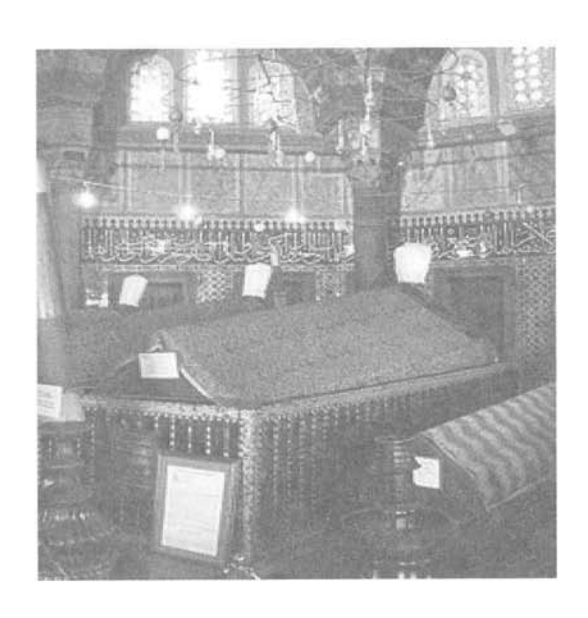
وفي يوم ٨ سبتمبر؛ هجم العثمانيون على قلعة واحتلوها عنوة، وفى انتهاء القتال حصلت فرقعة عظيمة انفجرت بسببها أرض القلعة؛ وانهدم بناؤها على من بها من طرفي المتحاربين، وذلك أن المحصورين لمّا رأوا أن لا مناص لهم من الانهزام أو الموت؛ دبروا هذه المكيدة بأعمال ألغام أشعلوها بعد احتلال العثمانيين إياها حتى يموتوا ويهلك جميع من دخلها من جنود العثمانيين.

.وأعلن الوزير هذا الانتصار لجميع الجهات باسم الملك حرصًا على عدم إذاعة موته، الذي لم يذعه إلا بعد أن أتت إليه رسالة من الاستانة بوصول ولده سليم إليها واستلامه مهام الأعمال بها.

إرثه



قبو (قبر) السلطان في مسجد سليمان القانوني.



نعش سليمان في ضريحه الملحق بمسجد سليمان القانوني

عند وفاة سليمان، أصبحت الإمبراطورية العثمانية بقوتها العسكرية وخيراتها الاقتصادية وتوسعاتها أقوى دولة في العالم. وضعت فتوحات سليمان أهم المدن الإسلامية (مكة والمدينة والقدس و القاهرة ودمشق وبغداد) ومقاطعات البلقان (تصل الآن إلى كرواتيا والنمسا) وأغلب أراضي شمال أفريقيا تحت قبضة العثمانيين.



ما قيل عن السلطان سليمان القانونى

يقدم مبعوث جمهورية البندقية، بارتلوميو كونتاريني، أقدم وصف للسلطان بعد أسابيع من توليه الحكم فيقول:

"يبلغ من العمر الخمسة والعشرين، طويل ونحيف، وبشرته حساسة. عنقه طويل قليلا، وجهه رقيق ومعقوف الأنف. شارباه متدليان ولحيته قصيرة ومع ذلك له طلعة لطيفة مع بشرة تميل إلى الشحوبة. يقال إنه حكيم ومولع بالدراسة والتعلم وكل الرجال يأملون الخير من حكمه وله عمامة كبيرة للغاية. يعتقد بعض المؤرخين أن سليمان الشاب كان يكن التقدير للإسكندر الأكبر. إذ تأثر برؤية ألكسندر لبناء إمبراطورية عالمية من شأنها أن تشمل الشرق والغرب، وهذا خلق دافعا لحملاته العسكرية لاحقة في آسيا وأفريقيا، وكذلك في أوروبا".

يقول أحد الشعراء بعد تولى السلطان سليمان الحكم:

*قل للشياطين البغاة اخسؤوا *** قد أوتى المُلك سليمانُ*

يقول المؤرخ الألماني هالمر:

"كان هذا السلطان أشد خطًا علينا من صلاح الدين نفسه".

ويقول المؤرخ الإنجليزي هارولد:

"إن يوم موت السلطان سليمان كان من أيام أعياد النصارى".

وأجمع المؤرخون من المسلمين وغيرهم أن ذروة مجد الدولة العثمانية وأعظم أيامها كان فى أيام السلطان سليمان القانونى، وأنه كان آخر سعد الدولة العثمانية، وكان رحمه الله رؤوفا برعيته وترأف بحال الناس.. فأطلق سراح ٦٠٠ مسجون من مأسوري مصر.

وردع الظالمين عن المظالم، وردع أهل الشرور والمفاسد، وأمن الناس فى أيامه وانتشر العدل في سائر الأركان، واندثر الظلم، واجتهد رحمه الله في أول جلوسه في نفي الزنادقة والمبتدعين في الدين..!!

حتى قال الشاعر في قصيدته العصماء :

*مليكٌ يرى أن ليس فى الأرض مشتهى*** سوى منع دين الله مما يُغَيِّرُ*

يقول صاحب نزهة الأنظار:

"وهو سلطان غاز فى سبيل الله، مجاهد في إعلاء كلمة الله، كان رحمه الله مؤيدًا في حروبه ومغازيه، أين سلك ملك، وصلت سراياه مشارق الأرض ومغاربها، فافتتح البلاد الشاسعة والأقطار بالقهر والحجة والسيف، وأقام السنة وأحيا الملة، ورفع شعائر الشريعة وأعلى منارها، وأحيا ما اندرس من آثارها، فكان من المجددين لهذه الأمة دينها فى القرن العاشر لكثرة علمه وعمله وأدبه وفضله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر".

وقال أيضًا:

".. كان رحمه الله تعالى ورضى عنه كأسلافه الطيبين محبًا للجهاد في سبيل الله، باذلا نفسه وخزائن أمواله لإعلاء كلمة الله، بحيث لم تُرفع راية الإسلام في زمانه للإسلام على رأس أحد من السلاطين العظام مثله!! ولم يكن أكثر جهادًا ونصرة للدين، وأكملُ عَدَّة وآلة لقطع الملاعين، وأقمع لأهل البغى والبدعة والكفرة الملحدين، وأشدّ عضدا وأشدّ نصراً لأهل السنة والدين منه رحمه الله، فهو سليمان زمانه وفريد عصره وأوانه، فكم دوّخ بلاد الكفر واجتاحها وجاس خلال مغانيها ورباعها، وافتتح صياصيها وقلاعها، وأخرب معاهد الأصنام، وبنى مساجد للإسلام".

يقول صاحب أخبار الدول:

"وكان رحمه الله، عالي الهمة، عالمًا، شجيعًا إلى الغاية، طويل القامة، حسن الصورة، وهو ممن اشتهر في الآفاق بالعدل والخيرات".

يقول صاحب العقد المنظوم:

".. السلطان سليمان بن سليم خان عاشر سلاطين آل عثمان فاتح ديار فارس وبغداد، قالع قلاع انكروس وبغدان بلغراد، قامع آثار الكفرة والملحدين، معفر جباه عتاة المشركين صاحب الوقائع المشهورة، والمناقب المذكورة، ملك ملك الآفاق بسطوته وتطاطا سراة العالمين عند سرادقات عزته، هو الذى هرب ملك المشرق من بين يديه دربًا فدربًا، ودانت لهيبته الملوك شرقًا وغربًا، فياله من ملك مجاهد تناول الكواكب وهو قاعد أصبح البحر من صارمه الصمصام في اضطراب".

وقال أيضًا: "... كان رحمه الله ملكًا ممدوحًا ومحمودا مقداما مظفرا مسعودا، وقع منه عداة الدين فى العذاب الأليم... وكان رحمه الله ذا حظ من المعارف والنوادر وله معرفة تامة بالتواريخ من الأوائل والأواخر، وكان ينظم الشعر بالتركي والفارسي".

يقول صاحب شذرات الذهب:".. كان سلطانا سعيدا ملكا، أيده الله لنصرة الإسلام تأييدا ... وهو سلطانٍ غازٍ في سبيل الله، مجاهد لنصرة دين الله، مُرغم أنواف عداه بلسان سيفه وسنان قناه، كان مؤيدا في حروبه ومغازيه، مسدداً في آرائه ومعازيه، مسعودا في معانية ومغانية، مشهودا في وقائعه ومراميه، أيّان سلك ملك، وأنّى توجه فتح وفتك، وأين سافر سفر وسفك، وصلت سراياه الى أقصى الشرق والغرب، وافتتح البلدان الشاسعة الواسعة بالقهر والحرب، وأخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعان والضرب، وكان مجدد دين هذه الأمة المحمدية في القرن العاشر، مع الفضل الباهر،

والعلم الزاهر، والأدب الغض الذى يقصر عن شأوه كل أديب شاعر، إن نظم نضد عقود الجواهر، أو نثر آثر منثور الأزاهر، أو نطق قلّد الأعناق نفائس الدرّ الفاخر... كان رؤوفا، شفوقا، صادقا، صدوقا، إذا قال صدق، وإذا قيل له صدّق، لا يعرف الغلّ والخداع، ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق، ولا يألف مساوئ الأخلاق، بل هو صافي الفؤاد، صادق الاعتقاد، منّور الباطن، كامل الإيمان، سليم القلب، خالص الجنان".

يقول الجبرتي في تاريخه عن السلطان سليمان وعن دولة آل عثمان: ".. المغازي السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان، فأسس القواعد، وتمم المقاصد، ونظم الممالك، وآنار الحوالك، ورفع منار الدين، وأخمد نيران الكافرين، وسيرته الجميلة أغنت عن التعريف، وتراجمه مشحونة بها التصانيف .... "

ثم قال عن الدولة العثمانية: "... ولم تزل البلاد منتظمة فى سلكهم، ومنقادة تحت حكمهم، من ذلك الأوان الذى استولوا عليها فيه إلى هذا الوقت الذى نحن فيه، وولاة مصر نوابهم، وحكامها أمراؤهم، وكانوا في صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين، وأشد من ذب عن الدين، وأعظم من جاهد في المشركين، فلذلك اتسعت ممالكهم، بما فتحه الله على أيديهم وأيدي نوابهم، وملكوا أحسن المعمور من الأرض، ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض، هذا مع عدم إغفالهم الأمور، وحفظ النواحي والثغور، وإقامة الشعائر الإسلامية والسنن المحمدية، وتعظيم العلماء وأهل الدين، وخدمة الحرمين الشريفين، والتمسك في الأحكام والوقائع، بالقوانين والشرائع، فتحصنت دولتهم، وطالت مدتهم، وهابتهم الملوكم، وانقاد لهم الممالك والملوك".

وما قيل من الشعر في حقه، وبما رثاه العلماء والشعراء:

كان من أعظم ما قيل من الشعر هو ما نظمه المفتي أبو السعود صاحب التفسير في وفاة السلطان سليمان:

أصوت صاعقةٍ أم نفخةُ الصور *** فالأرض قد مُلئت من نقر ناقور

أصاب منها الورى دهياء داهيةٍ *** وذاق منها البرايا صعقة الطور

تهدّمت بقعة الدنيا لوقعتها *** وانهدّ ما كان من سور ومن دور

أمسي معالمها تَيْمَاءَ مُقفرةً *** ما في المنازل من دار ودَيُّور

تصدّعت قُلَلُ الأطواد وارتعدت *** كأنها قلب مرعوب ومذعور

واغبرَّ ناصيةُ الخضراءِ وانكدرت *** وكاد ان تمتلىء الغبراء بالمور

فمن كئيب وملهوف ومن دَنِف *** عَانٍ بسلسلة الأحزان مَأسور

فيا له من حديث موحش نكد *** يعافه السَّمع مكروه ومنفور

تاهت عقول الورى من هول وحشته *** فأصبحوا مثل مسجون ومسحور

تقطّعت قِطعاً منه القلوب فلا *** يكاد يوجد قلبٌ غير مكسور

أجفانهم سفن مشحونةٌ بدم *** تجري ببحر من العبْراتِ مسجور

أتى بوجه نهار لا ضياء له *** كأنّها غارة شنّت بديْجور

أم ذاك نعي سليمان الزمان ومن *** مضت أوامره في كل مأمور

من ملا جملة الدنيا مهابته *** وسخّرت كل جبّار وتيْهور

مدار سلطنة الدنيا ومركزها *** خليفةُ الله في الآفاق مذكور

مُعلي معالم دين الله مُظهرها *** في العالمين بسعي منه مشكور

وحسن رأى الى الخيرات مُنصرف *** وصدقُ عزم على الألطاف مقصور

بآية العدل والإحسان مُمْتثِل *** بغاية القسطِ والإنصافِ موفور

مجاهد في سبيل الله مجتهد *** مؤيد من جناب القسط منصور

بلهذميّ إلى الأعداء منعطفٍ *** ومشرفيّ على الكفار مشهورِ

وراية رُفعت للمجد خافقةً *** تحْوي على علمٍ بالنصر منشورِ

وعسكرٍ ملأ الآفاق مُحتشدٍ *** من كل قطرٍ من الأقطار محشورِ

له وقائع في الأعداء شائعةٍ *** وأخبارها زُبرت في كل طامورِ

يا نفس ما لكِ في الدنيا مخلّفةً *** من بعد رحلته عن هذه الدورِ

وكيف تمشين فوق الأرض غافلة *** أليس جثمانه فيها بمقبورِ

فللمنايا مواقيت مقدّرة *** تأتي على قدرٍ في اللوح مسطورِ

وليس في شأنها للناس من أثرٍ *** ومدخلٍ ما بتقديم وتأخيرِ

إذ لستِ مأمورةً بالمستحيل ولا *** بما يُنْوى بمجذولٍ ومسرورِ

وا تظنّنّه قد مات بل هو ذا *** حيٌّ بنصٍ من القرآن مزبورِ

له نعيم وأرزاق مقدرة *** تُجرى عليه بوجه غير مشعورِ

إن المنايا إن عمّت محرّمة *** على شهيد جميل الحال مبرورِ

مرابطٌ في سبيل الله مقتحمٌ *** معارك الحتف بالرضْوان مأجورِ

ما مات بل نال عيشا باقيا ابدا *** عن عيشٍ فانٍ بكل الشر مغمورِ

إبتاع سلطنة العقبى بسلطنة *** الدنيا فأعظم بربحٍ غير محصورِ

بل حاز كلتيْهما إذ حلّ منزله *** من لم يغايره في أمرٍ ومأمورِ

أما ترى ملكه المحمي آل إلى *** سرّ سَرِيٍ له في الدهر مشهورِ

وليّ سلطنة الآفاق مالكها *** برا وبحرا بعين اللطف منظورِ

ومن أعظم ما قيل وهي مؤثرة جدا، أوردها عبد الرحيم العباسيّ في كتابه منح البرية، ولعلها من نظمه هو وقد كان شاعرا فحلا، قال رحمه الله:

السلطان سليمان والسلطانة هُيام في لقاء خاص وحصري مع OSN

السلطان سليمان

ما الذي جذبك للقيام بهذا الدور خاصة وأنك تجسد شخصية رجل كان من أقوى الرجال الذين تركوا أثراً كبيراً في التاريخ التركي؟

أظن أن السبب الأهم لقبولي هذا الدور هو العمل ككل لكونه يروي قصة تاريخية، وشخصية السلطان سليمان القانوني التي ألعبها، والفترة التي عاش خلالها جعلتني أوافق من دون أي تردد.

ماذا بإمكانك أن تخبرنا عن السلطان سليمان؟

سليمان القانوني هو السلطان العاشر للامبراطورية العثمانية التي كانت الأقوى في ذلك العصر، وقد حكمها على مدى فترة طويلة من الزمن. ومما يميز شخصيته أنه كان ذكياً جداً، وحازماً ومتعلماً بشكل جيد ويحب العمل كثيراً بالإضافة إلى أنه كان قائداً مخلصاً. بالعموم لقد كان هادئاً إلا أنه عندما يغضب كان يتخذ في بعض الأحيان قرارات متسرعة وقوية. كما أنه كان شاعراً ومصمماً محترفاً للمجوهرات التي كان يحبها كما يعرف عنه عشقه لهُيام.

هل واجهتك أي صعوبات أثناء تصوير العمل؟

الحلقة الأولى من أي مشروع هي الأصعب لأن الجميع يحاولون تقديم أفضل ما لديهم. لقد كان التصوير ممتعاً جداً. كما أن فريق ال[illegible]ل والممثلين ضم نخبة من المبدعين إلى جانب المخرجين وفريق الأ[illegible] ولهذا يمكنني القول أننا لم نواجه صعوبات كبيرة تذكر.

هل [illegible]اجئك أن تعلم أن هذا المسلسل حقق نسبة م[illegible]دة عالية جداً في العالم العربي؟

لقد مررت بهذه التجربة من قبل عندما شاركت في بطولة م[illegible]سل "ويبقى الحب" ولقد شعرنا بسعادة عارمة للنجاح ال[illegible] حققناه. وأنا أشعر بالسعادة أيضاً لما حققه مسلسل حريم السلطان من نجاح في العالم العربي وبأنه نال إعجاب الجمهور.

م[illegible] المشاريع الجديدة التي تعمل عليها حالياً؟ وهل يمكننا أن نتوقع جزء ثالث من حريم السلطان؟

إنني أصب كل تركيزي حالياً على مسلسل "حريم السلطان". حيث أننا نعمل بشكل متواصل حتى ننهي هذا العمل ولهذا فلا وقت لدي حالياً للمشاركة بأية أعمال أخرى. أما بالنسبة للقيام بجزء ثالث فهذا الأمر ممكن لأننا لا زلنا نقوم بالتصوير.

السلطانة هُيام

ماذا يمكن أن تخبرينا عن دورك في هذا العمل؟

أظن أن هُيام تشبه لاعب الشطرنج الجيد، فهي تمتلك قدرة كبيرة على التخطيط واختيار الوقت المناسب. هي تعرف جيداً أين ومتى يجب أن تكون عندما تريد تحقيق هدف ما. فهي لا تفكر على طريقة "إذا كان هذا الطريق لا يوصلني إلى الهدف فإنني سأختار طريقاً آخر" لأنها تعرف جيداً الطريق الذي اختارته وكيف يمكنها التغلب على أي نوع من الصعوبات.

ما الذي جذبك للعب هذا الدور؟

القصة وفكرة العمل.. إن أول ما أحسست به عندما بدأت العمل هو أن جميع العاملين في هذا المشروع وضعوا جزء من روحهم فيه وأحبوه. الأمر الذي جعلني مولعة به. إنني بالتأكيد أحببت شخصيتي في العمل وشعرت بالإطراء والسعادة للعب دور «هُيام». وذلك لأنها كانت شخصية حقيقية أثرت بشكل كبير في التاريخ.

هل واجهتك أية صعوبات أثناء التصوير؟

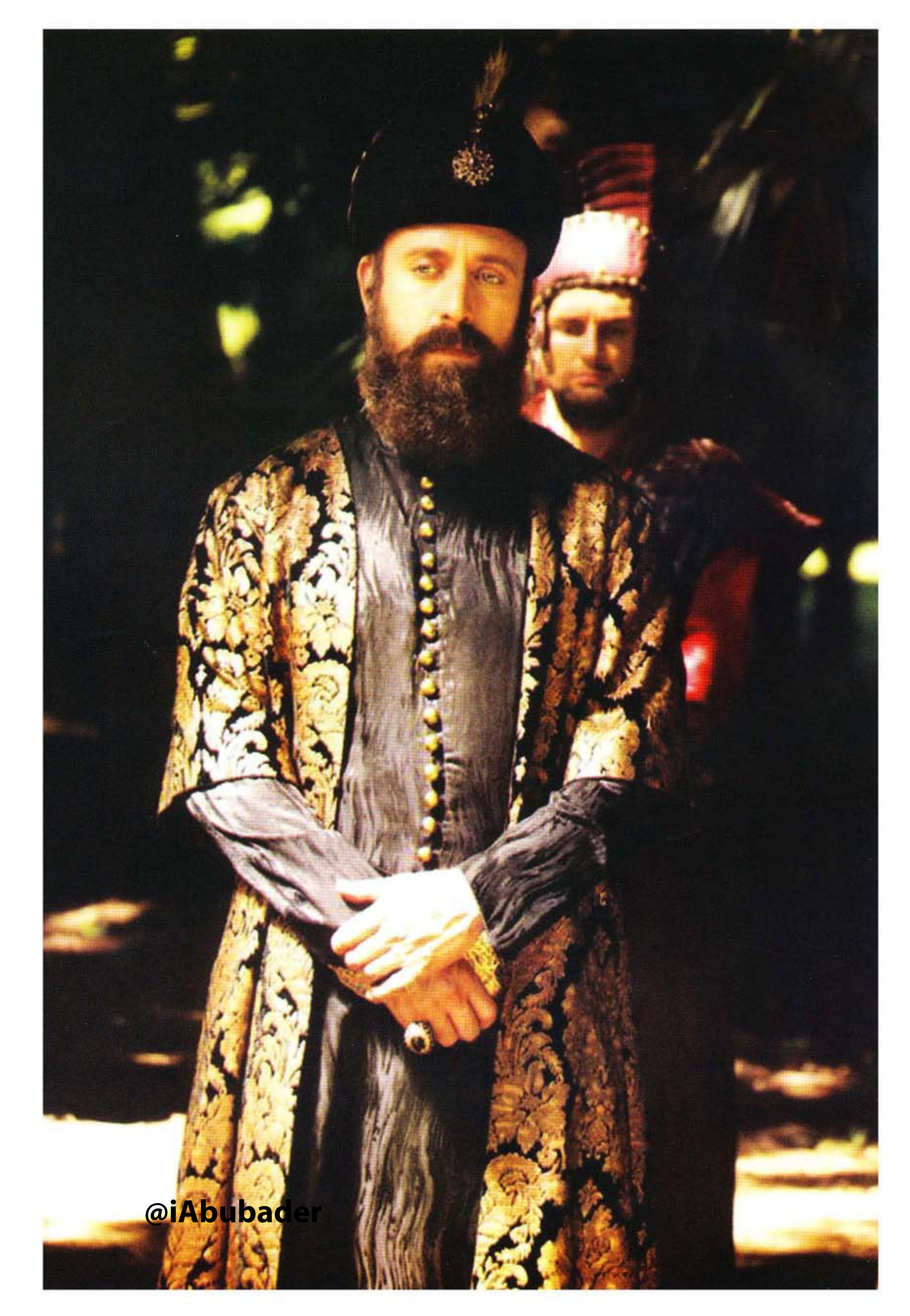
بما أن هذا العمل تاريخي فهو يتطلب الكثير من المكياج والعناية بالمظهر، ولهذا فإن التحضيرات غالباً ما تأخذ وقتاً أطول ومع ذلك فإنني أشعر بالسعادة لكوني جزء من هذا العمل. كما أن فريق العمل يضم نخبة من المحترفين اللطفاء أيضاً، فما أن تواجهني أية صعوبات حتى يقدموا لي المساعدة.

هل واجهت أية اعتراضات من عائلتك أو أصدقائك على الدور الذي تلعبينه في هذا المسلسل بشكل عام؟

لقد واجهت الكثير من ردود الأفعال الإيجابية وخصوصاً من والدي لأنه يهتم بالتاريخ جداً ولهذا فقد تابع المسلسل بشكل كامل.

كيف تمضين وقتك بعيداً عن التصوير؟

إنني أمثل في معظم وقتي، وعندما أكون في المنزل أمضي كثيراً من الوقت في قراءة مشاهدي أو أذهب إلى النادي الرياضي أو أسترخي في البيت. هذا هو كل ما أفعله خلال أيام الأسبوع الستة وفي يوم عطلتي السابع أقابل أصدقائي وأقاربي، وأمارس الرياضة وأقرأ المزيد من النصوص.



كأن لم تكن للكفر داراً ولم يقم *** بها قائم نعماء مولاه يكفرُ

وصار بها الإسلام في أرفع الذُرا *** تتيه بمجدٍ من عُلاه وتفخرُ

وأعلن بالتوحيد من كان ساكتاً *** وخافتَ بالإشراك من كان يجهرُ

وقام منارٌ الدين بعد قعوده *** وظل به يزهو سريرٌ ومنبرُ

وتاهت على كل البلاد بدولة *** لها السعد عبدٌ طوع ما يأتي تأمّرُ

وأضحت وأعناق الممالك خُضعا *** لديها وجبهات الملوك تُعفّرُ

بِسَعدِ سليمانَ الزمان ومن له *** إله البرايا ناصرٌ ومظفّرُ

مليك حباه الله ملكا مُؤيداً *** يجدُّ على مر الليالي ويُذكرُ

مليكٌ له عمزٌ إذا ما انتضان لا *** يقاربه ماضٍ صقيلٌ وأبترُ

مليكٌ إذا ما همّ أيسر همّةٍ *** لقصدٍ تسنى مسرعاً لا يُقصرُ

مليكٌ أبادَ الكفرَ رعبا فلم يدع *** لهم أنفساً إلا بذكراه تُذعرُ

مليكٌ يرى أن ليس في الأرض مشتهى *** سوى منع دين الله مما يُغيّرُ

مليكٌ له فوق السمّاكين رتبةٌ *** جميع المعالي دونها تتقهقرُ

مليكٌ بدا في الكون للناس رحمة *** به كل مكسورٍ من الدهر يُجبرُ

مليكٌ يُحارُ الفهم في كُنهِ وصفهِ *** ويعجز عنه التفكير حين يَفكّرُ

إذا قال فيه الشعرَ أشعرُ شاعرٍ *** ولو أنه الشعرى لما كان يشعرُ

ولكنه بالحلم يُغضي عن الذى *** يُقصّرُ بعد الجهد فضلاً ويعذرُ

فلا زال في سعدٍ يدوم ودولةٍ *** مخلّدةٍ ما قال بشراً مُبشّرُ

ومما ذكره صاحب العقد المنظوم كذلك:

مضى ملك الدنيا ولم يبق مشرق *** ولا مغرب إلا له فيه نائح

ولم يُغن عنه ماله ورجاله *** من الموت شيئا والخيول السوابح

وما انا من رزء وان جل فاجع *** ولا بحبور بعد موتك فارح

وقل للمنايا قد ظفرت سميدعا *** براجمه للمشرقين مفاتح

وقل للعطايا بعد ذاك تعطلى *** فإن ولي الجود والطول طائح

إمام الهدى بحر الندى قامع العدا *** سليمان من بالفضل للناس سامح

لقد دُفن المجد الرفيع بدفنه *** وعزّ منيع والخلال الصوالح

وجد لرايات السيادة ناصب *** وجد لآيات السعادة واضح

وقد بكت الأقلام اذ فاض بالاسى *** عليه كما رنت عليه الصفائح

ذر الموت يُفني من أراد فإنه *** ثوى اليوم من يخشى عليه الفوادح

إذا أعجلت سهما من العيش ناعما *** فمن خلفه سهم من البؤس فادح

سلاف قصاراها زعاف ومركب *** شهي اذا استلذذته فهو جامح

وقد جاد ما قد قيل في وصف حظها *** وماهو وصف ان تدبرت صالح

رويدك يا من غرهطيف عزها *** فعما قليل عنك ذاك نازح

وما هو إلا كالشهاب وضوئه *** يزول بآن بعدما هو لائح

وأودى ولكن طيب ذكراه خالد *** الى الحشر يبقى وهو كالمسك فائح

الا أيها الملك السعيد المكرم *** عليك سلام الله ماحن صادح

ونقل أيضا في كتابه:

نسيم الصبا رقت بأشجان فرقة *** حمامة ذات السدر جنت من الذعر

أحامي حمى الاسلام أودى وهل له *** نعيت لدين أنت مالك من عذر

أزالت من الدنيا مراسم بهجة *** وآلت مسرات الزمان الى الضر

دموعي جودى في رزية عادل *** عديل ابن خطاب مثيل أبي بكر

لقد ذاق من كاس الحمام امامنا *** امام الهدى بحر الندى طيب البشر

أنام أنام العهد في مهد عدله *** فراح الى دوح على سندس خضر

تفضلت الأيام بالجمع بيننا *** ففرق من أجل القصور عن الشكر

كذلك دهر الدهر بؤس ونعمة *** وناهيك تلك الحل في الوعظ والذكر

فوا حسرتا ان أنزل الدهر مثله *** من القصر في قعر الجنادل والصخر

فما اخضرّ بالمروين بعدك عوده *** وما غردت ورقاء في الروض ذي النور

وما قلبت أيدى الفوارس بعده *** رماحا لدى الهيجاء ذي الكر والفر

سقى الله قبرا من سحائب نعمه *** تضمن بحرا في الندى صافي البر

ألا أيها الملك الشهيد المجاهد حليما *** كريما قد مضى طيب الذكر

عليك من الرحمن فضل ورحمة *** وروح وريحان مدى الدهر والعصر

كما أنت في الأولى بعز ونعمة *** كذلك في الأخرى وفي الحشر والنشر

وذكر في النور السافر في أخبار القرن العاشر:

-

لعمرك ما الأعمار إلا مراحلُ ***وفيها مرور الحادثات مناهلُ

كأن بني العباس سنت سوادها *** عليه وبالأعلام قاست دلائلُ

وكان عماد الدين في كل حادث *** وسلطانه بالنصر للشرع حافلُ

وجثته في الأرض أضحت دفينة *** ومن شأنها تحوى الكتوز الجنادلُ

فكم حيّ قلب قد تقلب في الغضا *** عليه وكم عقل غدا وهو ذاهلُ

وكم أنفق الأموال في الغزو قائلاً *** إلا في سبيل الله ما أنا فاعلُ

شياطين أهل الكفر ولت لأنها *** سليمان وافا وهو للشرك خاذلُ

غزاهم بعزم كالشهاب وقد سما *** ومن حوله عد النجوم جحافلُ

أسود لها لهف الدروع مواطن *** وغاباتها سمر القنا والعواملُ

وللأديب ماميه الانقشاري في تاريخ وفاته شعر:

انتقل العادل من دنيته *** جاور الرحمن والمولى الرحيم

قالت الأقطاب في تاريخه *** "مات سليمان بن سلطان سليم

الفصل الرابع

روكسلان

الأفعى اليهودية.. زوجة السلطان



ديانة روكسلانا

اختلف المؤرخون حول ديانة روكسلانة، فالبعض يذكر أنها كانت مسيحية وأن والدها كان قسًا أرثوذكسيًا أوكرانيًا.

وهناك مؤرخون آخرون يذكرون أنها يهودية الأصل، ولكن من دون إسناد رابطين مسلكها في القصر السلطاني بذلك.

على أي حال؛ فقد اعتنقت الإسلام بعد زواجها من السلطان سليمان، ولكن لاحقت الجذور المسيحية لِخُرِّم سمعتها التاريخية، إذ تُتهم باستغلال موقعها لتقويض الدولة العثمانية الإسلامية لصالح الدول الأخرى، بما فيها الصفوية.

بعد خرق السلطان سليمان لتقليد عثماني؛ تزوج من فتاة "حريم" وهي روكسلانا (بالتركية: Hürrem وتعرّب "خُرِّم")..(بتشديد وكسر الراء)، التي حققت شهرة تاريخية نظير افتتان السلطان بها وتأثيرها البالغ عليه. تولى ابنهما سليم الثاني خلافة سليمان بعد وفاته في 1566 بعد 46 سنة من الحكم.

روكسلان هي زوجة السلطان العثماني القوي سليمان المشرّع ــ يسميه بعض المؤرخين سليمان القانوني، والسلطان سليمان هو بطل معركة (موهاكس عام ٩٣٢ هــ) ضد ملك المجر، التي انتهت بنصر ساحق للعثمانيين العظماء.

روكسلان، اسمها الحقيقي (خُــــــــرّم) الذي يعني "الباسمة"، جاءت للسلطان سليمان كهدية من ملك تتر القرم؛ فتزوجها وصارت حرة بولادة ابنها سليم الثاني.



كان لروكسلان الدور الأكبر في دخول اليهود إلى العالم الإسلامي، فبعد سقوط الأندلس (عام ٨٩٧ هـ) بسقوط غرناطة؛ بدأ نصارى إسبانيا الحاقدين بجرائم محاكم التفتيش التي لم يسلم منها أحد حتى أفراد الطائفة اليهودية، الذين ذاقوا صنوفًا من تلك الجرائم، كما حرقت كتب توراتهم! لذلك.. قرروا الهجرة إلى بلاد العالم الإسلامي، فبعثوا بمن يطلب من روكسلان زوجة السلطان العثماني الذي كانت خلافته تسيطر على البلاد الإسلامية أن تتدخل كوساطة لدى السلطان للموافقة على أن يعيش اليهود مواطنين في هذه البلاد؛ فوافق السلطان سليمان.. ولكـــــن!! لهم أن يختاروا ما يحبون من بلاد للإقامة فيها، (إلا) !!! فلسطين!

فتوزعوا في بلاد المغرب العربي ومصر واليمن وغيرها من البلاد العربية، ثم بعد سنوات تعرض اليهود في الأراضي الروسية لمضايقات واعتداءات؛فقرروا الهجرة إلى العالم الإسلامي؛ إذ قاموا بنفس ما قام به يهود الأندلس من مراسلة لزوجة السلطان روكسلان.

فقبل السلطان سليمان وبالطريقة السابقة نفسها، لهم أن يختاروا أي بلد إلا فلـــــــســــــــطين!!

فتوزع اليهود على بلاد فارس والعراق وشمال تركيا والدونمة، والدونمة هي المنطقة التي خرج منها مصطفى كمال أتاتورك! الذي نزع من تركيا كل ما هو إسلامي عام ١٩٢٤م، لذلك يُتهم بأنه من يهود الدونمة، وبالمناسبة؛ كلمة الدونمة تعني العودة.

ثم كان موقف السلطان العثماني عبد الحميد الذي طرد "هرتزل" مبعوث الصهيونية من بلاطه عندما طلب منه في اللقاء الثاني أن يسمح لليهود بالإقامة في فلسطين؛ لأن السلطان عبد الحميد سبق أن أصدر فرمانًا يمنع فيه اليهود من المبيت في فلسطين لأكثر من ثلاثة أيام.

الأحداث:

من سلبيات الحكم العثماني ومن الأسباب التي أدت إلى ضعف تلك الدولة الإسلامية العظيمة؛ هو إقبال سلاطين هذه الدولة على الزواج من الأجنبيات من أهل الكتاب؛ وذلك لجمالهن، لأن ذلك أدى إلى أن كثيرًا من السلاطين كانوا أبناء لنصرانيات أو يهوديات كن ذات أثر كبير على مجرى الأحداث؛ لأنهن في هذه الحالة يكن متوزعي الولاء بين عقيدتهن وأزواجهن، وكثيرات منهن كن يعملن لصالح دينهن ضد الإسلام، ومنهن من كن أساس البلاء الذي حاق بهذه الدولة الكبيرة، نظرًا للدور الذي أدته كل واحدة منهن، وكيف أنها جاءت من بلادها خصيصًا لهذا الهدف؛ ألا وهو تدمير الدولة واغتيال أملها .

مرت الخلافة العثمانية بمراحل تكوين ثم انتشار ثم اندحار ثم تجميع ثم تفرق ثم توحد ثم عصر قوة؛ عندما تولى السلطان سليم الأول وأعلن نفسه خليفة للمسلمين بعد أن أسقط دولة المماليك في مصر والشام وخلفه ابنه سليمان الأول المشهور بالقانوني وكان صاحب شخصية قوية جدًا وهمة عالية مثل أبيه في الجهاد، فتح كثيرًا من البلاد مثل جزيرة رودس والقرم ورومانيا وبلجراد والمجر وترانسلفانيا وضمن لأملاك المسلمين الجزائر وليبيا وتونس ووصلت الدولة الإسلامية في عهده لأقصى اتساعها

حتى صارت أقوى دولة في العالم وقضى على كل الثورات الداخلية وحركات التمرد، وقلم أظافر الدول الصفوية التي ظهرت من جديد عقب وفاة السلطان سليم الأول، وأتم سليمان مهمة أبيه سليم في تطهير الجزيرة العربية من البرتغاليين شديدي العداوة للإسلام والمسلمين، وأوشك على فتح الهند وأرسل أمير بحره خير الدين وعرج للإغارة على سواحل إسبانيا للانتقام مما أصاب المسلمين على يد الصليبيين هناك.

بان للعيان أن هذا السلطان الجديد على رأس الدولة العثمانية بمثابة صاعقة وكارثة حقيقية حطت على رؤوس الدولة الصليبية في أوروبا؛ خصوصًا بعد محاصرة "فيينا" عاصمة الإمبراطورية النمساوية، ولم يكن في مقدور تلك الدول عسكريًا الوقوف في وجه العثمانيين وهنا ظهرت الحيلة والخداع.

أسر التتر المسلمون في شبه جزيرة القرم في إحدى غاراقم على الروس فتاة بالغة الجمال تدعى روكسلان؛ فأهدوها للخليفة سليمان الذي اتخذها خليلة له وكانت بارعة الجمال، سلبت لب سليمان؛ فلم يقو على بعدها، فأعتقها ثم تزوجها واتضح أنها يهودية الديانة، وكان لها بالغ الأثر في سياسة سليمان بعد ذلك، ومن أهم أعمالها التي قامت بها تلك الأفعى اليهودية ما يلي:

روكسلان ويهود الدونمة:

عندما سقطت الأندلس في يد الصليبيين؛ كانت بها أعداد كبيرة من اليهود الذي لاقوا معاملة مهينة من الصليبيين الذين خيروهم بين اعتناق النصرانية أو الرحيل من الأندلس؛ فدخل الكثيرون منهم في النصرانية ورحل الباقي عن الأندلس؛ فلم يجدوا بلدًا يوافق على استقبالهم لسالف أفعالهم الشريرة وإفسادهم كل بلد يدخلونه ورفضهم العالم بأسره، وعندها طلبت روكسلان اليهودية من السلطان سليمان قبولهم في الدولة العثمانية وتذللت بين يديه وتصنعت له حتى وافق سليمان المسكين على استيطان هؤلاء في بلاده، ولم يدر أي بلية نكب بها امبراطوريته وأي داهية دخلت تحت ثيابه؛ لأن

هؤلاء اليهود الذين أطلق عليهم اسم "يهود الدونمة" سيكون لهم دور رئيسي وأساسي في سقوط الخلافة العثمانية فيما بعد.

روكسلان والحرب مع روسيا:

كانت روكسلان يهودية من أصل روسي، وروسيا كانت من أعدى أعداء المسلمين، وكانت روسيا صاحبة الدور الأكبر في إسقاط العثمانيين، وكان الروس آنذاك ضعافًا والمسلمون التتر في شبه جزيرة القرم يغيرون عليهم باستمرار، وعندها تدخلت روكسلان لدى سليمان وتوسطت عنده ليمنع المسلمين في شبه جزيرة القرم من محاربة الروس، وكف أيديهم عنهم، وبالفعل.. منع سليمان التتر من ذلك؛ فماذا كانت النتيجة؟

استطاع القيصر إيفان الثالث المعروف بــ"الرهيب" توحيد الروس، وأغار على القرم داخل بلادهم وسيطر عليهم، وارتكب أبشع الجرائم التي تدل على شدة الكراهية للإسلام والمسلمين، ولقد سمي إيفان بالرهيب للأفعال الرهيبة التي فعلها مع المسلمين، ثم استدار الروس بعدها للعثمانيين وظلوا يحاربونهم حتى سقطت الدولة العثمانية في نهاية الأمر.



صورة متخيلة عن روكسلان

مكائد روكسلان وابنها واغتيال القائد مصطفى:

لم تكتف روكسلان بكل ما فعلته سابقًا؛ بل عملت بشتى السبل على إقناع سليمان ليولي ابنه منها سليم الثاني الخلافة بعده، ولكن سليمان رفض لأن ولي عهده كان ولده الكبير القائد العظيم مصطفى، الذي كان يحظى بحب الشعب لديانته وأدبه وميله للعلماء والشعراء، وأيضًا يحظى بدعم الجيش والإنكشارية لبطولته وفروسيته وشجاعته، وتوسم فيه الجميع أنه سيكون خليفة على الطراز الأول.. يعيد للأذهان عهد الخلفاء الصالحين.

ولما رأت روكسلان رفض سليمان لعزل مصطفى وتولية سليم؛ عملت على استخدام الدسائس والمؤامرات بالتعاون مع الصدر الأعظم رستم باشا، وهو بالمناسبة زوج ابنتها من السلطان، وتم تعيينه عن طريق روكسلان، فتآمرت معه على أن يحرض السلطان على ولده، فأفاض عليه الأكاذيب والأباطيل أن مصطفى يريد الخلافة، واستقطب الانكشارية في صفه ويريد أن يفعل مع سليمان ما فعله جده سليم مع أبيه بايزيد؛ حتى امتلأ صدر سليمان غضبًا على ولده مصطفى، الذي كان يحارب وقتها الدولة الصفوية؛ فاستدعاه سليمان يوم ١٢ شوال سنة ٩٥٤ هـ إلى خيمته؛ ثم أمر بعض الخدم فخنقوا مصطفى حتى قتلوه، وعندما علم الناس ذلك ثارت الإنكشارية، وهموا بعمل انقلاب؛ فعزل سليمان الصدر الأعظم رستم باشا لتهدئة الاضطرابات، وكان للسلطان سليمان ابن آخر يدعى "جهانكير" توفي أيضًا بعد مقتل أخيه مصطفى بقليل من شدة الحزن.

ولما عزل السلطان الصدر الأعظم رستم باشا؛ فإن روكسلان أرسلت من قتل الصدر الجديد حتى يعود زوج ابنتها مرة أخرى، ولم تكتف روكسلان بذلك؛ بل أرسلت من قتل طفل مصطفى الرضيع لينقطع أثره ولا يطالب منهم أحد بعد ذلك بالملك.

وهكذا اغتالت تلك الأفعى المستأجرة لذلك خصيصًا حلم الأمة وأملها في قائد عظيم يواصل رحلة الجهاد والفتوحات، وفتحت أبواب الدولة على مصراعيها لسرطان سوف يقتلها.. ألا وهو "يهود الدونمة"، فكانت هذه الأفعى اليهودية سبب البلاء على الدولة العثمانية خاصة، والأمة الإسلامية عامة.

أسماء

لا تذكر المصادر العثمانية المزامنة لعصر خُرَّم اسمها الكامل، وتكتفي بأنها "خُرَّم خاصيكي سلطان Hürrem Haseki Sultan بالتركية، أي الضاحكة، أو الباسمة، وهو اسم ربما يعود إلى جذره الفارسي (Khurram) ، أما بالعربية فتعرف باسم "كريمة" ويصف الكثير من الكتب التاريخية خُرَّم بـ"الروسية" وهي صفة لا تعود إلى روسيا اليوم بقدر ارتباطها بدول أوروبا الشرقية وضمنها أوكرانيا، وتطلق الأدبيات الأوكرانية اللاحقة على خُرَّم اسم "أناستاسيا/ناستيا" ويرد اسمها في المرويات البولندية ـ إذ كانت أوكرانيا جزءً من المملكة البولندية ـ اسم "ألكساندرا ليسوفسكا".

حياة القصر

سرعان ما استقطبت خُرَّم اهتمام سيدها السلطان سليمان القانوني، الذي تتفق معظم المصادر التاريخية على تأثيرها الأسطوري عليه. وتظهر في الرسائل المتبادلة بين الاثنين علاقة حب متأججة. في إحدى رسائلها إلى السلطان، كتبت خُرَّم:

سيدي، إن غيابك عني قد أجج ناراً لا ينطفئ لهيبها. ارحم هذه الروح المعذبة وسارع في الجواب، لأنني قد أجد فيه ما يخفف عني. سيدي، حين تقرأ كلماتي ستتمنى لو أنك كتبت إلي أكثر للتعبير عن شوقك.

العلاقة الخاصة بينها وبين السلطان، فسّرت وقوف القانوني في صف خُرَّم حين نشوب خلافات بينها وبين "ماه دوران" زوجة السلطان الأولى، كانت والدة السلطان عائشة حفصة تتدخل للتهدئة بين الزوجتين، إلا أنه بعد وفاتها عام ١٥٣٥؛ اشتدت شراسة الخلافات وصولاً إلى الاشتباك بالأيدي.

الاشتباك المعروف، والأخير، ألحق أضرارًا جسدية بخُرَّم، وكان وراء نفي السلطان لـــ"ماه دوران" إلى مانسيا مع ابنها، أكبر أبناء القانوني، مصطفى؛ رغم أن هذا النفي قُدّم بوصفه إجراءً بروتوكوليًا معتادًا لتجهيز مصطفى لولاية العهد، برحيل منافستها، باتت خُرَّم توسع نفوذها، ومارست خلال ولاية زوجها السلطان سليمان أدوارًا سياسية تفصح عنها مراسلاتها مع زعماء العالم آنذاك، وازداد موقعها أهمية مع تقديمها ستة أبناء للسلطان: الأميرة محرمة، وسليم، وبايزيد، وعبدالله، وجهانكير، ومحمد.

اتهامات تاريخية

يدافع بعض المؤرخين عن السلطانة خُرَّم باعتبارها راعية للكثير من الأوقاف الخيرية، ولوقوفها خلف زوجها الذي بوأته إنجازاته موقعًا فريدًا في سلسلة السلاطين العثمانين؛ غير أن مؤرخين آخرين يحمّلونها مسؤولية أحداث دموية وسياسية ضخمة، ضمن مفهوم "سلطنة الحريم".



إسقاط الصدر

يتهم المؤرخون خُرَّم بالوقوف وراء أحدى أكثر أحداث التاريخ العثماني جدلاً، وذلك هو إعدام الصدر الأعظم القوي، رفيق صبا القانوني وساعده الأيمن، إبراهيم باشا. ووفقاً للروايات، فإن السلطانة خُرَّم سعت لتقويض ثقة السلطان بإبراهيم، خصوصًا مع دعم الأخير لمصطفى النجل الأكبر للسلطان من زوجته الأولى "ماه دوران"،في واحدة من الرسائل التي كتبتها خُرَّم إلى السلطان، جاء ذكر إبراهيم باشا صراحة، كالتالي:

> سيدي، تسألني عن السبب في غضبي على إبراهيم باشا، وحين يجمعنا الله ثانية سأذكر لك السبب وستفهمني.

ويربط المؤرخون بين مقتل إبراهيم باشا خنقاً بأمر سلطاني عام ١٥٣٦، وتعيين زوج ابنة خُرَّم، رستم باشا، صدرًا أعظم للقانوني.

تلويث السلالة

من دون سند، تُتهم خُرّم بأن ابنها سليم الذي غدا الخليفة العثماني الحادي عشر، ليس ابناً للسلطان، بل لخادم في القصر، أو لإبراهيم باشا حين كانت خُرّم جارية في عهدته. ويدلل بعضهم على ذلك بمسلك سليم الذي يخالف أسلافه السلاطين، إذ، وخلال حكمه، أدمن الخمرة حتى لُقب بالسكير، كما قعد عن قيادة الجيش وقضى ولايته في جناح الحريم. تبعًا لهذه التهمة؛ فإن جميع سلاطين آل عثمان بعد القانوني لا ينحدرون من السلالة العثمانية.

تنصير وتهويد

لاحقت الجذور المسيحية لخُرّم سمعتها التاريخية، إذ تُتهم باستغلال موقعها لتقويض الدولة العثمانية الإسلامية لصالح الدول الأخرى، بما فيها الصفوية، ويزعم مؤرخون آخرون، ودون إسناد، أنها يهودية الأصل رابطين مسلكها في القصر السلطاني بذلك.

أعمال روكسلانا

استثماراً لموقعها النافذ، قدمت روكسلانة العديد من الأوقاف والمنشآت الخيرية في العاصمة العثمانية، كما ابتنت لها ولابنتها مهرماه سلطانًا، كما ولكونها زوجة خليفة المسلمين فقد شملت أعمالها مكة المكرمة والقدس.

من أوائل أعمالها، مسجد ومدرستان قرآنيتان ومستشفى نسائي في القسطنطينية، إضافة إلى حمام لخدمة المصلين في آيا صوفيا. وفي القدس، دشنت عام ١٥٥٢ وقفاً لتقديم الطعام مجاناً للفقراء وعدداً من الأسبلة، كما ابتنى لها المعماري الشهير "سنان باشا" جامعة اشتهرت باسم "خاصكي"، كما أبتنى لها حمامين يحملان اسمها يعتبران نموذجًا لعمارة الحمامات العثمانية.

وقد أسهمت السلطانة روكسلانا في فرض ذوقها في الأزياء نساء زمانها وأثرت فيهن بتسريحة شعرها غير المألوفة وملابسها وحليها.



روكسلانا والسلطان. الحب الأسطوري بين الاثنين ألهم الخيال الاوروبي، مثل هذه اللوحة بريشة رسام الباروك الألماني أنطون هيكل

روكسلانة والفنانين

تلهم خُرّم الفنانين، وتعود بين فترة وأخرى إلى الواجهة من خلال عمل فني، رواية أو لوحة أو موسيقى، تستعيد قصة الحب التي ربطتها بالسلطان العثماني.

فظهرت روكسلانة في لوحة للفنان جاكوبو تينتوريتو، وهي ترتدي قفطانا حريريا بأكمام طويلة وياقة عنق مثنية الى الخلف.

أما الفنان مليشيور لوريكس؛ فأحب أن يظهرها في لوحته كامرأة جميلة ممتلئة قليلا وتحمل زهرة في إحدى يديها وتضع أقراطا من اللؤلؤ في أذنيها وتضفر شعرها.

وهناك لوحات أخرى لروكسلانة (خُرّم) والسلطان سليمان، كما تخيلهما الألماني أنتون هايكل ١٧٨٠.

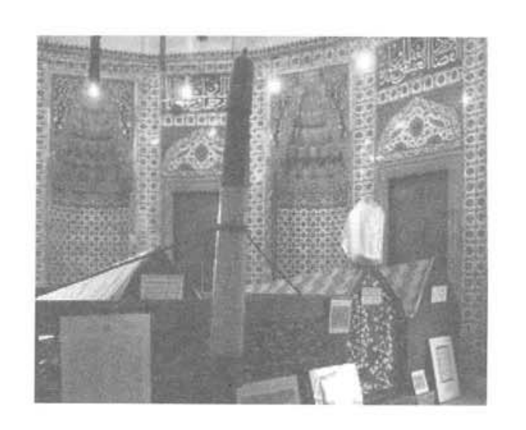
ويضم متحف طوب كابي لوحة أخرى للسلطانة روكسلانة تظهرها في شكل امرأة ذات وجه صغير نحيل وعينين سوداوين واسعتين، وثغر صغير وترتدي هوتوز (نوع من الرداء) مرصع بلالئ وأحجار كريمة، إضافة إلى أقراط أذن هلالية الشكل، واللوحة في مجملها تظهر امرأة تشع الجمال وتظهر قوة الشخصية.

واحدة من هذه الأعمال هي السيمفونية رقم ٦٣ لهايدين، إذ تعرف باسم "روكسلانا" اعتمادًا على الحركة الثانية من السيمفونية التي تحمل هذا الاسم.

وفاة روكسلان الروسية



وبعد وفاة روكسلان الروسية؛ قام ابنها سليم بالكيد لبايزيد ابن السلطان سليمان المتبقي وأخيه من زوجة ثانية، وتمكن من استئجار مربي بايزيد ليسرب له معلومات كاذبة مفادها أن والده الخليفة كان ينوي استخلاف سليم الأصغر سنًا على ملك آل عثمان، وجرت مراسلات بين الأخوين تمكن فيها سليم من إثارة غضب بايزيد، وقام الأخير بمس كرامة أبيهما ببعض العبارات في إحدى المراسلات، فأرسل سليم الكتاب إلى الخليفة سليمان الذي غضب غضبًا شديدًا، وكتب إلى بايزيد يوبخه ويأمره بالانتقال من إمارته في قونية إلى مدينة أماسيا، فخشي بايزيد غدر أبيه؛ فجمع قرابة عشرين ألفًا من الجنود وآثر التمرد على أبيه، إلا أن نار التمرد أخمدت على يدي جيش الوزير صقللي محمد باشا، والتجأ بايزيد مع أبنائه إلى جوار طهماسب شاه فارس، ولكن طهماسب غدر بالابن المسكين وسلمه إلى أبيه بعد أن أظهر له المودة وقبل أن يجيره، وقتل رسل السلطان بايزيد مع أبنائه الأربعة.



الباب الثانى

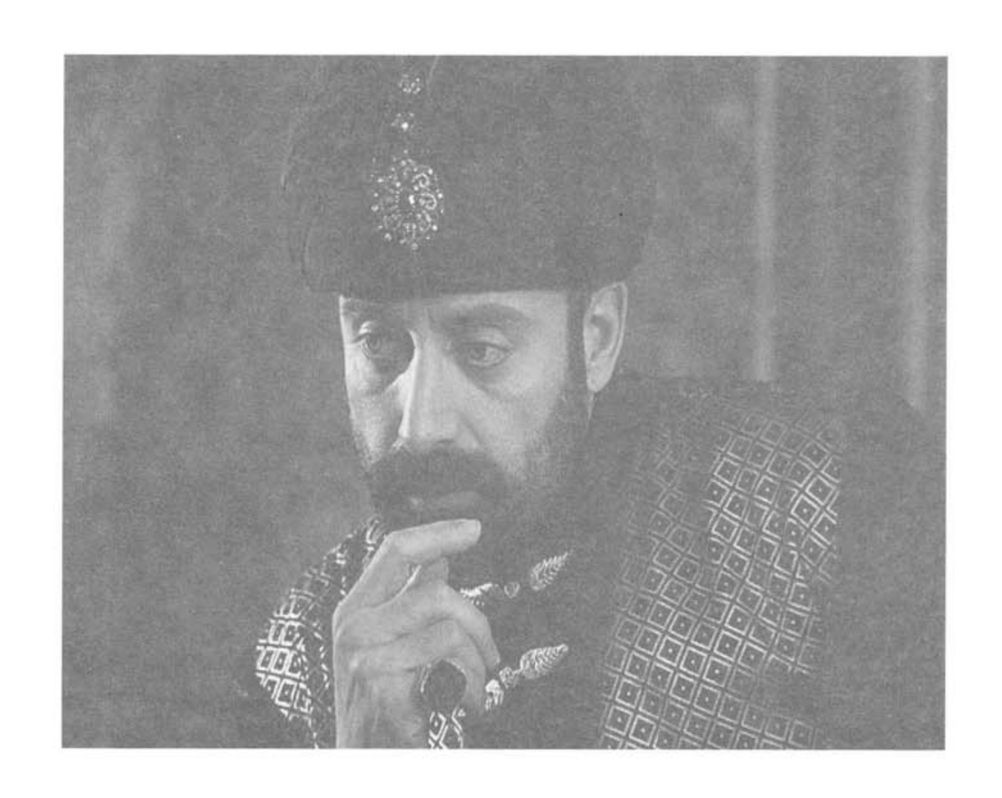
"حريم السلطان" وصاحبة الجلالة

الفصل الأول

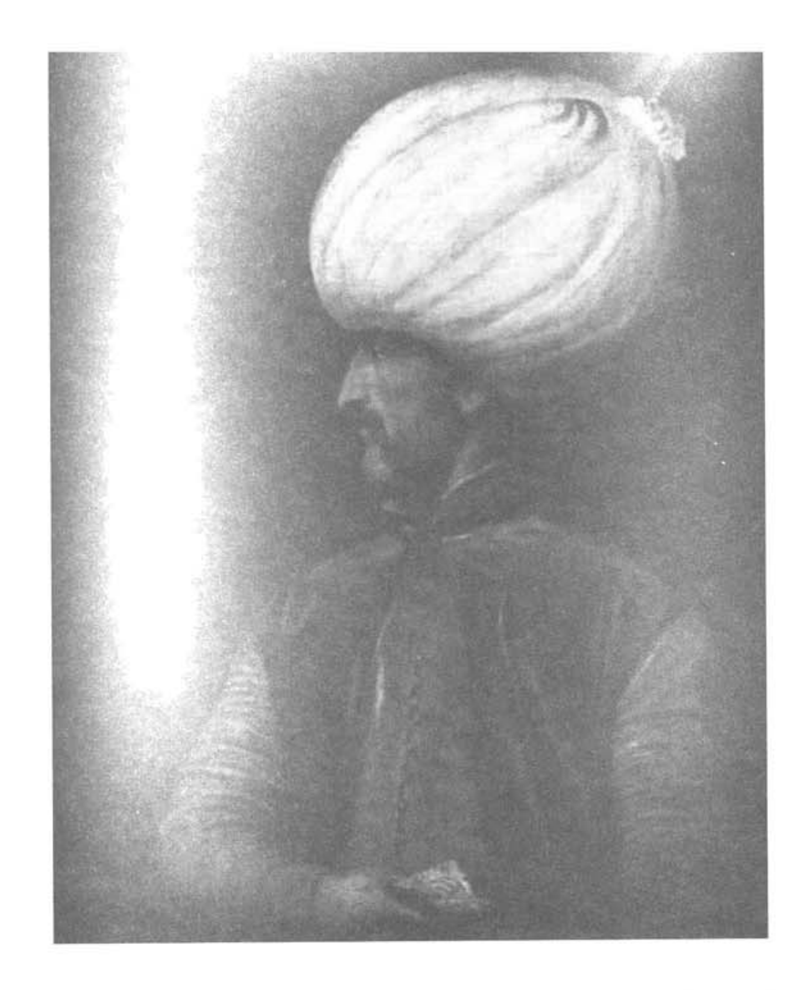
حريم السلطان



أحيت الدراما التركية الشهيرة "حريم السلطان" التي لا تزال تبث على القنوات التليفزيونية والفضائية؛ تاريخ شخصية بارزة في العالم الإسلامي، شخصية أوصلت بحكمها الدولة العثمانية إلى ذروة مجدها وخرّ لعظمتها وهيبتها الولاة في الغرب والشرق الأوسط وشمال إفريقيا.



هو السلطان سليمان الأول بن سليم، عاشر سلاطين الدولة العثمانية، الذي عاد عبر المسلسل ليخطف أنظار المشاهد العربي، وعاد به إلى القرن السادس عشر، في عمل درامي عملاق يبعث في النفوس الفضول والرغبة في التعرف بعمق على أحد أعظم الملوك على مر التاريخ.



في سن السابعة عشرة تولى سليمان الشاب منصب والي فيودوسيا ثم ساروخان (مانيسا) ولفترة قصيرة أدرنة.

وبعد وفاة والده السلطان سليم الأول في 22 سبتمبر 1520؛ تولى السلطان سليمان القانوني الحكم وبدأ في مباشرة أمور الدولة، وتوجيه سياستها.



نصب خرم سلطان في أوكرانيا

أرادت إحدى زوجات السلطان المعروفة باسم روكسلان الروسية في المراجع الغربية أو خرم في المراجع التركية (وهويام في المسلسل التركي حريم السلطان) تمهيد الطريق لابنها سليم ليتولى ميراث أبيه فيما بعد، فاشتغلت بالدسائس وساعدها الصدر الأعظم رستم باشا على ذلك، فانتهز الأخير فرصة سفر ابن السلطان مصطفى في إحدى الحملات العسكرية إلى بلاد فارس وكاتب سليمان الأول يخبره أن ابنه يريد أن يثور عليه كما ثار أبوه (سليم الأول) على جده بايزيد الثاني، فانطلت الحيلة على الخليفة الذي سافر من فوره إلى معسكر الجيش في بلاد فارس متظاهرا بقيادة الجيش بنفسه، واستدعى ابنه إلى خيمته وقتله فور دخوله إياها، وكان للسلطان سليمان ابن آخر يدعى جهانكير توفي أيضا بعد مقتل أخيه مصطفى بقليل من شدة الحزن.



وصورت الدراما التركية الشهيرة "حريم السلطان" قصة حياة السلطان سليمان القانوني خلال فترة القرن السادس عشر، وتستعرض الأحداث التي تجري في مقر حريم السلطان المعروف بـ"الحرم السلطاني"، ويسلط المسلسل الضوء على علاقة الحب التي جمعت السلطان وإحدى جواريه التي تصبح لاحقًا زوجته وذات نفوذ وتأثير كبير في حياته والدولة العثمانية بأكملها.

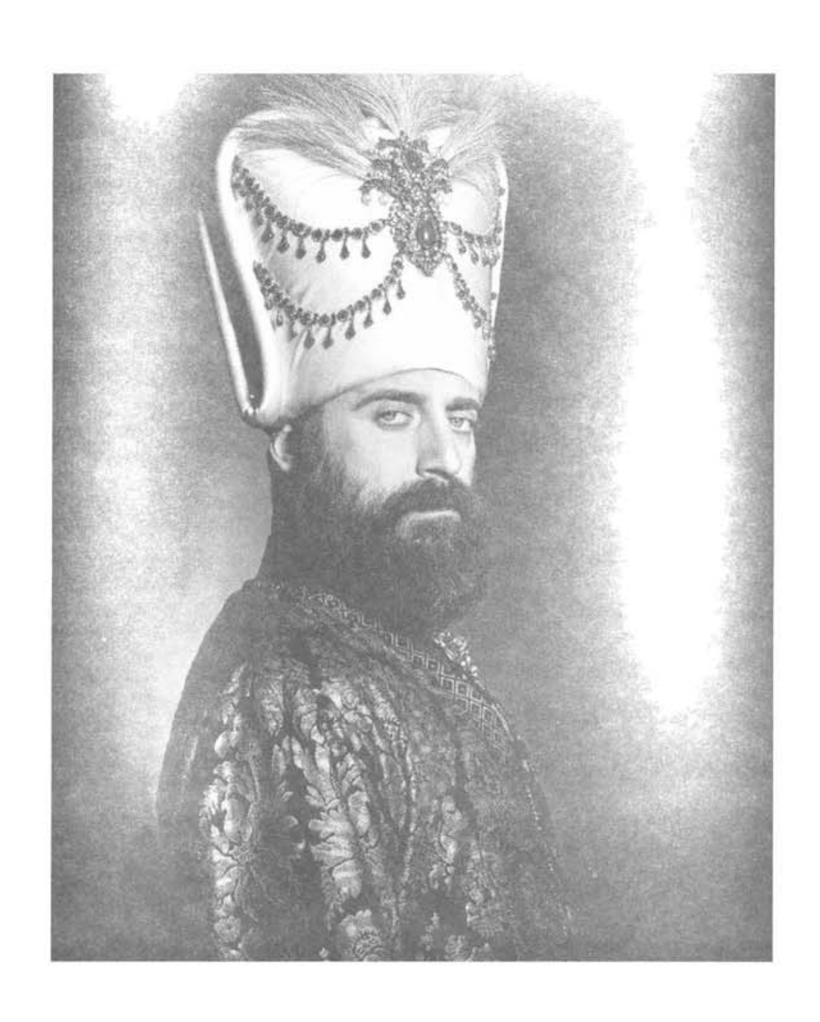
حريم السلطان أو القرن العظيم Muhteşem Yüzyıl

حريم السلطان

النوع	مسلسل تاريخي
الكاتب	ميريال اوكاي
المخرج	الأخوان تيلان
أول عرض	تركي: ستار تي في عربي: دبي
عدد الحلقات	النسخة التركية ٤٨ النسخة العربية
عدد الأجزاء	النسخة التركية ٣ النسخة العربية ٣
سنة الإنتاج	2010
مكان الإنتاج	إسطنبول تركيا
أبرز الممثلين	
اللغات	التركية العربية (مدبلج)

@iAbubader

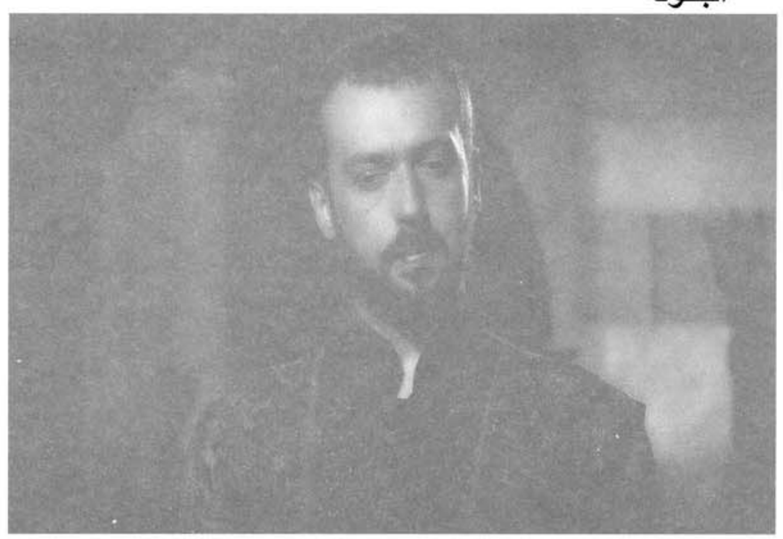
مسلسل تاريخي تركي، وهو أضخم إنتاج تلفزيوني يحكي جانب من حياة عاشر سلاطين الدولة العثمانية وأعظمهم سمعة وقوة، تناول المسلسل للجانب العاطفي للسلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم الأول؛ أثار مسلسله الشارع التركي بـ ٧٠ ألف شكوى ضده، أرسلت للمجلس الأعلى للإذاعة والتليفزيون التركي.. واستطاع "حريم السلطان" أن يتحوّل إلى حديث المدن العربية؛ ليحقّق نسب مشاهدة غير مسبوقة. ليعدّ أحد أكثر المسلسلات تميّزًا في صناعة الدراما التركية، وليصبح المسلسل التركي المدبلج بحلقاته الخمس والخمسين في جزئه الأول أحد أكثر الأعمال تميّزًا بما يحمله من إثارة اجتماعية وتباينات تاريخية موثّقة؛ كان لها تأثير مباشر في حبكة درامية تشدّ المشاهد وتجعله يعيش أيام السلطان سليمان بكل ما فيها من حكايات وراء الكواليس، وفي خبايا القصور العثمانية في تلك الفترة، ما يجعله بحق المسلسل الأضخم في تاريخ الدراما التاريخية التركية.



يروي مسلسل "حريم السلطان" قصة حياة السلطان سليمان القانوني الذي حكم الدولة العثمانية في فترتها الذهبية من سنة ١٥٢٠ ميلادية وحتى وفاته سنة ١٥٦٦. الذي أوصل بحكمه الدولة العثمانية إلى ذروة مجدها. ويعتبر أهم حاكم في تاريخ الدولة العثمانية. تدور أحداث مسلسل "حريم السلطان" خلال فترة القرن السادس عشر، ويستعرض الأحداث التي تجري في مقر حريم السلطان المعروف بالحرملك السلطاني، ويسلّط الضوء على علاقة الحب التي جمعت السلطان مع إحدى الجاريات التي تصبح

لاحقاً زوجته وذات نفوذ وتأثير كبير على حياة السلطان والدولة العثمانية بأكملها.
ويستهلّ المسلسل حلقاته الأولى بصعود السلطان سليمان صاحب الحق الشرعي إلى السلطة بعمر ٢٦ عاماً، بعد أن وضع نصب عينيه هدف تأسيس امبراطورية أقوى من سلطة الإسكندر الكبير، وأن يجعل من العثمانيين قوة لا تقهر، وليصبح خلال فترة حكمه التي دامت ٤٦ عاماً، السلطان الشاب، والمحارب الحاكم الكبير، بعد تلقّيه نبأ تتويجه في حفلة صيد العام ١٥٢٠غير مدرك أنه سيحكم في ما بعد إقليماً يتجاوز أحلامه. وعند تنصيبه كحاكم للدولة العثمانية ترك زوجته (ماهيدفران) وابنه الصغير مصطفى وقصره في (مانيسا)، لينطلق بصحبة صديقه المقرّب ورفيقه إبراهيم للوصول إلى قصر توبكابي في العاصمة أستانا. وفي هذه الأثناء، أبحرت سفينة عثمانية إلى البحر الأسود لجلب النساء هدايا للقصر، من بينهن (آلكساندرا لا روسا)، ابنة كاهن أوكراني أرثوذكسي بيعت للقصر. والتي ستصبح في المستقبل (هوريم)، زوجة السلطان سليمان وستنجب منه سليم، الذي سيتولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة أبيه عبر سلسلة من المكائد وسفك الدماء التي دفع ثمنها وزيره الكبير إبراهيم. إضافة إلى إعدامه لأحد أبنائه كي تستمر لعبة السلطة الدموية، حيث الغاية تبرّر الوسيلة وكل شيء يصبح مقبولاً من أجل أن تنتصر لعبة السياسة والسلطة.

البطولة



تمّ اختيار الممثلة الألمانية من أصل تركي "مريم أوزيرلي"؛ لأنها تعتبر الأقرب فى الملامح للسلطانة الحقيقية، كما أنها تتقن لغات عديدة ضرورية لتجسيد الدور. كما تطلّ الممثلة التركية "نور أيسان" التي عُرفت باسم "بيسان" في مسلسل "العشق الممنوع" من خلال المسلسل في دور جارية شركسية وزوجة من دون عقد للسلطان وأم أبنائه.

"نور إيسان" تجسّد دور "ماه دوران" إحدى جواري السلطان والأقرب إلى قلبه، وقد أنجبت له ابناً لتصبح بمثابة زوجته. هذا ويجسّد الممثل التركي "خالد أرغنش" — وكان قد ظهر خالد في دور البطولة في المسلسل التركي "عليا" — دور السلطان سليمان القانوني. وهو من مواليد ٣٠ أبريل عام ١٩٧٠ في اسطنبول.

كما تمّ اختيار "نيباهات جيري" المعروفة باسم "فيروز خانم" في "العشق الممنوع" لتجسّد دور السلطانة حفصة والدة السلطان.

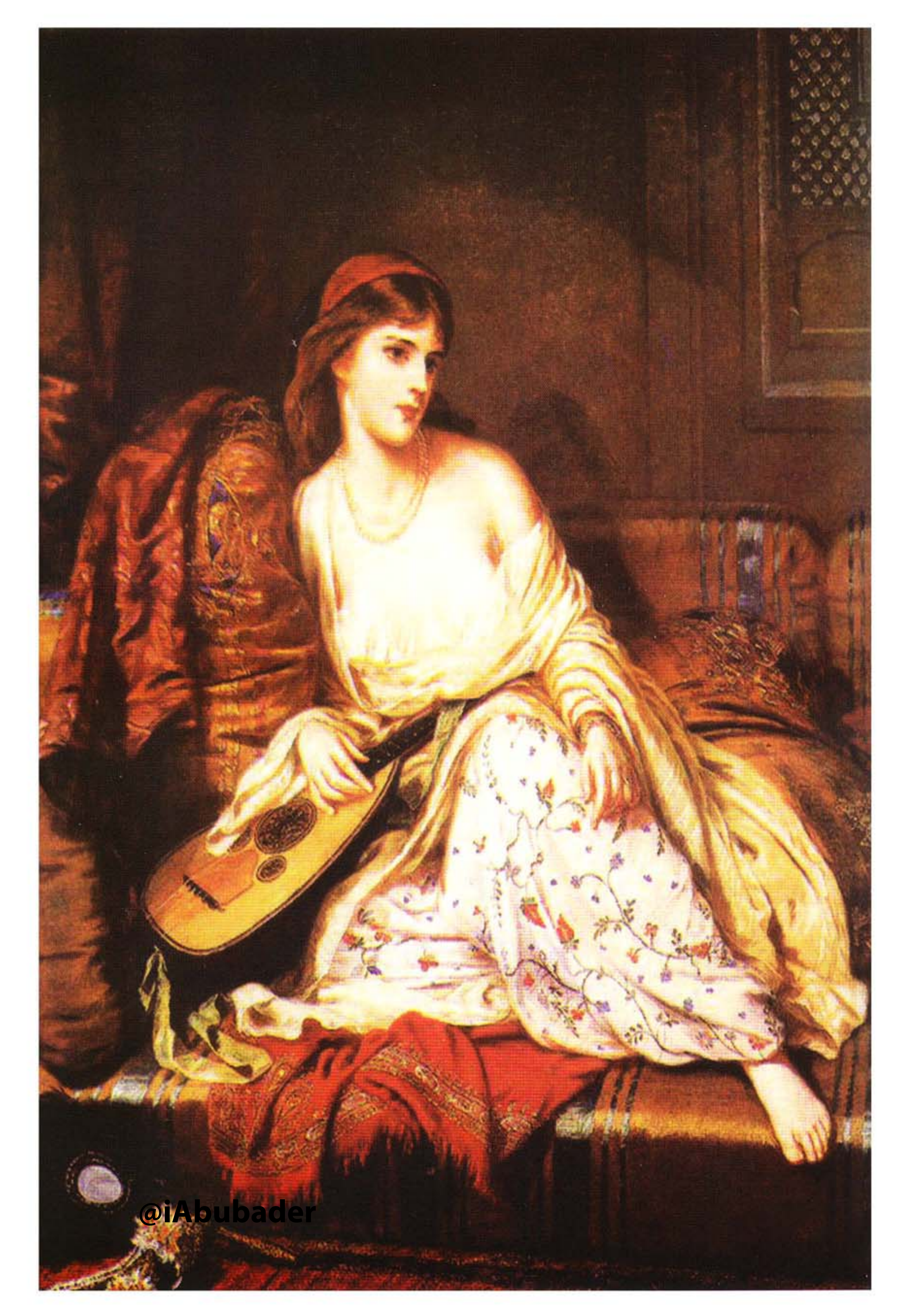
وفي هذا المسلسل يظهر السلطان سليمان كأنه إنسان عاطفي فقط، وعاطفته تغلب عقله في بعض الأحيان، بينما السلطان سليمان القانوني الذي كان من أقوى السلاطين العثمانيين يتمتع بعقل مؤمن لا يمكن أن يكون كما يجسده كاتب النص في المسلسل.

دبلجة المسلسل

تكفلت "شركة تايمز" بإعداد ودبلجة المسلسل التركي "حريم السلطان"، وهذه الشركة معروفة بأداء الدوبلاج كثيرًا. أما حقوق التوزيع في العالم العربي؛ فهي ملك "مؤسسة دبي للإعلام".

دبلجة أسماء الأماكن

لم يتم تغيير أسماء الدول والمدن والأماكن في المسلسل لسببين: الأول أن أسماء المدن والمناطق باتت معروفة الآن، وثانيًا؛ أن مسلسل حريم السلطان هو مسلسل تاريخي، لهذا لم يستطع الكاتب تغيير أسماء القصور أو حتى المعارك. ومن هنا؛ فإن الدوبلاج حافظ على أسماء البلدان التركية، ليس في هذا المسلسل فقط، بل في جميع المسلسلات، ولهذا يعود الفضل في معرفة الشعب العربي بالمناطق التركية.





دبلجة الأسماء



كعادة دبلجة المسلسلات التركية، ورغم أنه مسلسل تاريخي وشخصيات المسلسل كانت حقيقية؛ فإنه تمت دبلجة بعض أسماء شخصيات المسلسل، نظرًا لصعوبة نطق أسماء الشخصيات الأصلية مثل: روكسلان الجارية التي أحبها السلطان، تحولت بعد الدبلجة إلى ألكسندرا، وعندما أسلمت وغيرت اسمها إلى "هوريم" أو كما يقولها العرب "خوريم"؛ تمت دبلجة الاسم إلى هويام، وزوجة السلطان الأولى "ماهدوران"، تحولت إلى "ناهد دوران"، والكثير من الشخصيات تم تغيير أسمائها.

الشخصية العربية	الشخصية التركية	الممثل	مؤدي الصوت العربي	معلومات عن الشخصية
السلطان سليمان	السلطان سليمان I. Süleyman	خالد أرغنش	خالد القيش	السلطان العثماني المعروف باسم سليمان القانوني.
هويام	خريم سلطان Hürrem	مريم	لمى	جارية روسية حظية السلطان سليمان التي كانت تحاول السيطرة على مشاعر السلطان ولديها

	Sultan	أوزيرلي	إبراهيم	أحلام للاستحواذ على مقاليد الأمور.
إبراهيم البرغلي	إبراهيم باشا البرغلي Pargalı İbrahim Paşa	أوكان يالبيك	عاصم حواط	كان مملوكا وأصبح بين ليلة وضحاها وزير السلطان وصهره وكان العدو اللدود لهويام.
السلطانة الأم	السلطانة عائشة Ayşe Hafsa Sultan	نيباهات جيري	فيلدا سمور	أم السلطان سليمان.
درة خانوم	دايه خاتون، Daye Hatun	سلمى كشيك Selma Keçik	وفاء موصللي	رئيسة الخدم

طاقم العمل في النسخة العربية:

هندسة الصوت: عمرو أيمن السمكري

المكساج: منار السمكري

المونتاج: بشر فيصل قهوجي

الإعداد: سامي خويص وسعاد الخطيب

الترجمة: غزال يشيل أوغلو

مساعد المخرج: سمر خليل وصفاء عوض

إدارة عمليات الإنتاج: غلن كلاك ومارغريت كلاك

الإشراف الفني: رجاء خليل الأتاسي

الإشراف التقني: منار أيمن السمكري

الإشراف العام: عدنان حمزة

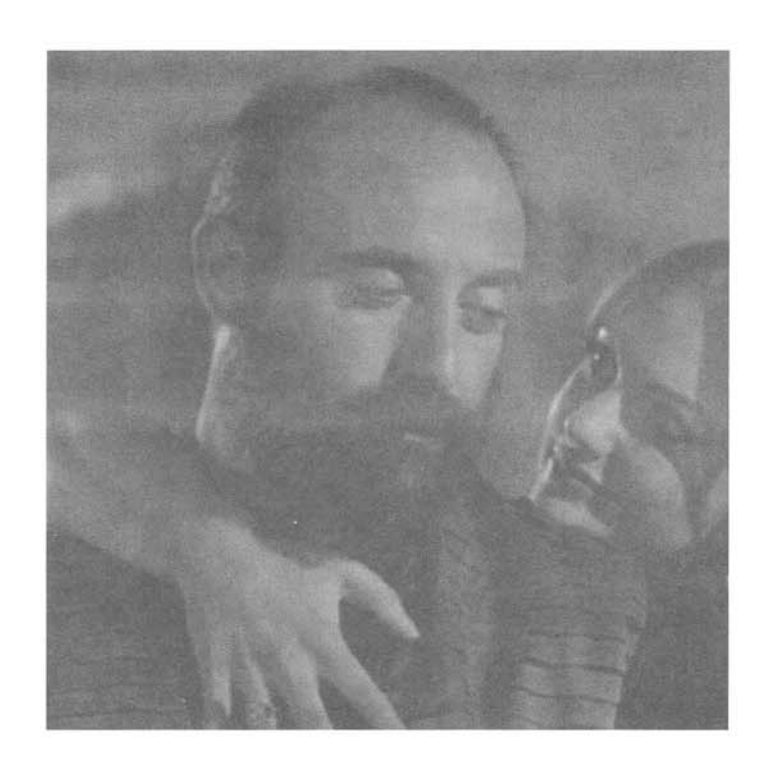
أبطال المسلسل:

اسم الممثل	الدور	الشرح
خالد أرغنش	سليمان القانوني	الخليفة العاشر من العثمانيين
نور فتاهغلو	ناهد دوران	المحظية الأولى التي انجبت له مصطفى الابن الأول
مريم أوزيرلي	هيام أو روكسلانا	أو خرم المحظية الثانية أنجبت لسلطان خمسة أطفال
نيباهات جيري	عايشه حفصه سلطان	أم السلطان سليمان وزوجة السلطان سليم الأول.
أوكان يالبيك	إبراهيم باشا الفرنجي	الصدر الأعظم
سلمى أرغتش	السلطانة خديجة	أخت السلطان.
فيليز أحمد	فريال خانوم	مسؤولة الخدم
ألب أوكين	كليمنت السابع	بابا الفاتيكان في تلك الفترة.
سلمى كشيك	ست درة	خادمة السلطانة الأم.
نهال بيوكاتشج	"كوثر"	خادمة مهدفران
سليم باركتار	سمبل أغا	أغا الحريم

فاتح آل نصوح السلاحي رسام ومنمنم

محمد قونسار الأمير شاه زاد مصطفى أكبر أبناء القانوني

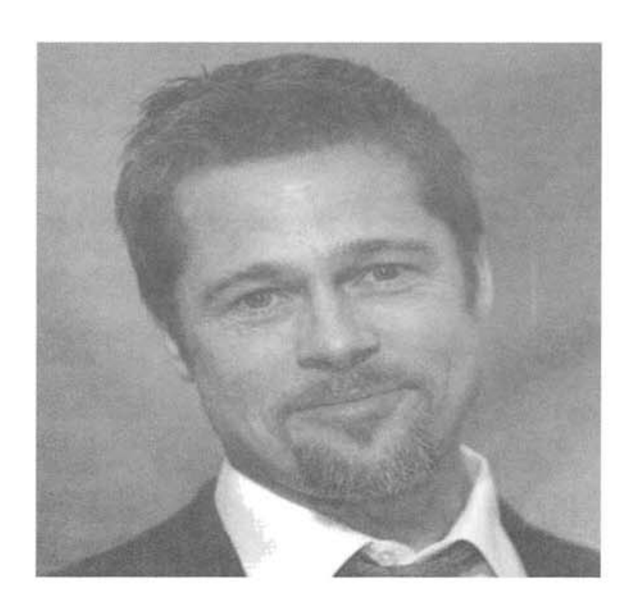
بوراك أوزشيفيت مأمون اوغلو بالي بيك قائد مغوار



الفصل الثاني

حريم السلطان في بلاط صاحبة الجلالة

على الرغم من جميع النجاحات التي حققها المسلسل، وعلى الرغم كذلك من تحطيمه الأرقام القياسية في عدد المشاهدين؛ فإن المسلسل التركي "حريم السلطان" واجه انتقادات عدة، مثيرًا في الوقت ذاته عاصفة من النقاشات والسجالات، إذ تلقى أكثر من ٧٥ ألف شكوى ـــ بسبب ما وصف بأنه "تلاعب بالحقائق التاريخية" ـــ لإيقاف المسلسل الأضخم في تاريخ الدراما التركية، وأنه ركز على جانب الحياة الاجتماعية فقط للسلطان سليمان القانوني، دون التطرق إلى حياته السياسية كإنجازاته وفتوحاته، وحتى الجانب الاجتماعي.. فقد تم بيانه بصورة سلبية، فقد أظهر السلطان سليمان على أنه "عربيد" يحتسي الخمر ويغازل النساء.



براد بيت في الدراما التركية في مسلسل "حريم السلطان ٢

مسلسل حريم السلطان الذي ظهر في "حُلة" جديدة وفرض نفسه بطريقة إخراجه المعتمدة على دقة التفاصيل، والتقنية العالية المحترفة في التصوير، وأداء الممثلين الواثق، وعناصر الإبهار في حركة الكاميرا وزواياها، التي تجبر المشاهد على ملاحقة المشهد، وغير ذلك من الأدوات الفنية التي دفعت الجمهور لمتابعته والإعجاب به. ومن هنا بدأ المشاهد العربي يطالب بمسلسلات تاريخية ذات جودة عالية.

ذكرت مجلة "المرأة اليوم" أن الممثل العالمي براد بيت قد وافق على عرض قدم له بمبلغ يناهز المليوني دولار لأداء بعض المشاهد في المسلسل التركي" حريم السلطان "في جزئه الثاني. ليؤدي براد بيت دور أحد أمراء الحرب الأوروبيين الذين سيحاربهم السلطان العثماني سليمان ومن المقرر أن يتم تصويره في الفترة المقبلة.

"حريم السلطان" أضخم المسلسلات التركية، بين الحقيقة والخيال !

بمجرد عرض الإعلان الخاص بمسلسل "حريم السلطان"؛ حتى أصبح هناك شغف من المصريين لمتابعته، وهو ما زاد بعد عرض الحلقات الأولى من العمل، ليصبح المسلسل أحد أهم الأعمال التي يحرص الجمهور على متابعتها، خصوصًا بعد أن جذبت مريم أوزرال أو "هويام سلطان" أنظار المشاهدين.

يذكر أن تكلفة إنتاج الحلقة الواحدة ٥٠٠ ألف دولار في المتوسط، وهو ضعف التكلفة الإنتاجية للمسلسلات التركية الأخرى، وعند عرض جزئه الأول أثار المسلسل عاصفة من الاحتجاجات في تركيا حول دقة الوقائع التاريخية المذكورة في المسلسل، ووصل الأمر إلى قيام بعض الأتراك بالتظاهر أمام مبنى قناة "شو تي في" التي عرضت المسلسل هناك وقاموا برشقها بالبيض الفاسد وتمزيق إعلانات المسلسل؛ وذلك وفقًا لتقارير صحفية تركية.

السلطانة خديجة ترفض التعليق على نقد أردوغان لمسلسل "حريم السلطان"



في أحدث ظهور للممثلة التركية سلمى إرجنج الشهيرة بـــ "السلطانة خديجة" بطلة مسلسل "حريم السلطان"، شوهدت وهي تغادر مقهى "Starbucks" في منطقة أتيلار، وسألها الصحفي عن الانتقادات التي صرح بها رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان عن مسلسل "حريم السلطان"، ورفضت سلمى الحديث عن الموضوع والتزمت الصمت، ثم شكرت الصحفيين وصعدت إلى سيارتها وغادرت المكان.

انتقاد هجوم أردوغان على "حريم السلطان"

لا تزال تصريحات رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ضد مسلسل "حريم السلطان" الذي يتناول حياة السلطان سليمان القانوني؛ تثير موجة من الانتقادات داخل تركيا، إذ اتهمته أحزاب معارضة بالسلطوية ومحاولة فرض سيطرته على القضاء.

ونقلت صحيفة "حرييت" عن النائب عن حزب الشعب الجمهوري المعارض أردوغان توبراك وصفه تصريحات أردوغان بـــ"الخطرة والسلطوية"، وتساءل عن مدى استقلالية القضاء بعد أن قال أردوغان إنه ينتظر قرارًا قضائيًا حول المسلسل.

من جهته، قال القيادي في حزب الحركة القومية عصمت بويوكاتمان: إن أردوغان يسعى إلى تغيير جدول الأعمال في البلاد، وسأل "هل خطر له الأمر الآن؟ هذا المسلسل يعرض منذ أكثر من سنة"، وأضاف "يجب مراجعة المسلسل حول ما يتعلق بالوقائع التاريخية ولكنني لست مقتنعاً بصدقية مقاربة أردوغان".

واتهم عضو حزب السلام والديمقراطية إدريس بالوكان أردوغان بمحاولة فرض سلطته على الفن والتدخل بشؤون القضاء، وقال "يمكننا تقدير مدى خطر توجيه أمر للقضاء بالرقابة والسيطرة على الفن".

وكان أردوغان انتقد المسلسل التركي الشهير "القرن العظيم" أو كما يعرف في العالم العربي بـــ"حريم السلطان"، قائلاً "ليس لدينا أجداد مثلما يجري تصويرهم في المسلسل".

وأضاف "نحن لا نعرف السلطان سليمان القانوني بالشخصية التي يظهر فيها في المسلسل"، لافتًا إلى أن الأخير قضى ٣٠ عامًا من عمره على ظهر الخيول في إطار الحروب والفتوحات التي خاضها.

"حريم السلطان".. مسلسل يخترق حاجز الممنوع



يبدو أن نزيف المسلسلات التركية لن يتوقف، وكذا ارتباط المشاهد المصرى والعربى بها لما توفره له من عناصر جذب؛ أهمها قصص الرومانسية والتصوير فى أماكن مبهرة والأزياء المتميزة، وجاء مسلسل "حريم السلطان" ـــ أو هكذا يعرف فى الشارع العربى، على الرغم من أن المسمى الحقيقى له "قرن من العظمة" ـــ ليكمل صورة الإبهار التى تشكل هالة حول المسلسلات التركية.

قليلة هي المسلسلات التاريخية التي تنجح فى ربط الناس بها، ولكن "حريم السلطان" لعب على وتر الدراما والحياة الاجتماعية للسلطان العثمانى سليمان القانونى؛ خصوصًا في الجزء الذي يندر الخوض فيه وهو الحرملك، فكما يقول المثل "الممنوع مرغوب"، فقد استطاعت الكاتبة ميرال أوكاي ـــ التي وافتها المنية ـــ اقتحام دهاليز الحرملك، هذا المكان الذى يحظر على أي فرد دخوله ما عدا السلطان ونوعًا معينًا من الخدم، حتى إن الحديث عن هذا المكان أو تخيله لا يتم إلا فى صور الرسامين وهو ما يجعله مكانًا شديد الخصوصية.

ومن هنا جاء انتقاد المسلسل؛ فذلك المحظور وضع المسلسل في مواجهة صعبة مع المجتمع التركي لاختراقه حاجز الممنوع، حيث تم انتقاده بأنه أظهر السلطان سليمان القانوني ـــ عاشر السلاطين العثمانيين الذى امتد حكمه لفترة قاربت ٤٦ عامًا وخاض العديد من الفتوحات في الدول الأوروبية ـــ سكيرًا يشرب الخمر ومتعدد العلاقات النسائية ويرافق الجوارى، فقد روى المسلسل العلاقة التى جمعته بإحدى حريمه روكسانا وخرقه للتقليد الملكى بزواجه منها إلى أن تصبح ذات نفوذ مؤثر في البلاط الملكي، وكذلك علاقته فيما بعد بأخريات. فقد وصل النقد لأكبر شخصية في تركيا وهو رئيس الوزراء التركي رجب الطيب أردوغان الذي اعتبره إساءة لتاريخ وماضي تركيا وهو ما لا يليق. ويأتى كل ذلك على خلفية التصريح من قبل أحد أفراد العمل أن جزءًا كبيرًا من الأحداث التى يرويها المسلسل خصوصًا الاجتماعية من وحي الخيال.

ولم يتوقف حد النقد عند مجرد الكلام المرسل، ولكن تم تقديم أكثر من ٧٥ ألف شكوى للمجلس الأعلى للثقافة والتليفزيون التركي للمطالبة بوقف عرضه، خصوصًا أنه يعرض على شاشات العديد من الدول العربية والغربية وتحقيقه نجاحًا مدويًا للدرجة التى جعلت عدة قنوات بلغارية تتنافس على شراء حق عرضه.

كما تقدمت وزارة السياحة التركية بشكوى ضد منتجي المسلسل بتهمة الإضرار بالمواقع الأثرية والتصوير بها من دون تصريح رسمي، فقد تم توجيه اتهام بأن فريق العمل

حفر نافورة في أحد القصور الأثرية لحاجة الدراما له، وهو ما يحمل إضرارا شديد الخطورة.

ورغم كل هذا النقد؛ فإنه على الجهة المقابلة اعتبر فريق آخر المسلسل من أعظم ما قدم في الدراما التاريخية على الإطلاق نظرا لقدرته على ربط المشاهد بعمل تاريخي ــ وهو ما يندر حدوثه ــ من خلال مزجه بين الحكي الاجتماعي لحياة سليمان القانوني ونفوذ زوجته روكسانا وتحديه عرف البلاط الملكي بزواجه واحدة من الحريم، وبين الأحداث التاريخية الجامدة التى توجد في آلاف الكتب. وما ساعد على جذب المشاهدين له أيضًا هو الأزياء الرائعة اللافتة للأنظار التي تظهر عظمة وأناقة المرأة الملكة في القرن السادس عشر، إذ تم إظهار الفساتين التي تم تفصيلها من أجود أنواع الحرير والساتان والمطرزة بالخيوط الذهبية، وأيضًا الإكسسوارات الأنيقة، وكل ذلك زاد من تكلفة المسلسل الذي تجاوز الإنفاق على كل حلقة فيه مبلغ ٥٠٠ ألف دولار.

وعلى أحد المواقع الإلكترونية

تجاوزت الدراما التركية بنجاحها حدودَ تركيا لتصلَ العديدَ من الدول ومن ضمنها الدولُ العربية، ويعدُّ مسلسلُ "موهتاشام يوز يل" أو ما يعرفُ بـ"حريم السلطان" أحدَ هذه المسلسلات التي لاقت نجاحًا كبيرًا خارج تركيا، إلاَّ أنَّ تناوُلَ المسلسل حياةَ السلطان القانونيِّ أحدِ أهم سلاطنة الدولةِ العثمانية جَعله هدفَ النقاد باعتباره يبتعدُ عن تجسيد الحقائقِ التاريخية كما هي، ما يؤدي إلى رسم صورةٍ خاطئة عن شخصية السلطان.

فيس بوك

وعلى موقع فيس بوك يحظى مسلسل "حريم السلطان" بشعبية غير قليلة ويمكن الدخول إليها من اللينك التالي وقراءة عدد مرات الإعجاب والتعليقات.

118,909 likes · 44,380 talking about this

https://www.facebook.com/7arem.sultan

الفصل الثالث

حريم السلطان في ميزان النقاد

كان أبرز الانتقادات الموجهة للمسلسل تتعلق بحقيقة السرد التاريخي للعمل، حيث انتقد الجمهور تصوير السلطان سليمان القانوني في هيئة العربيد محتسي الخمر المغلب لحياته العاطفية على حياته كرجل دولة قوي وذكي، كما انتقد آخرين ظهور المرأة في المسلسل مذلولة للسلطان مسلوبة الحقوق.

واعتبر بعض النقاد الأتراك أن المسلسل لا ينتمي لسيرة السلطان سليمان القانوني إلا من حيث الأسماء، أما غير ذلك فهو دراما اجتماعية من خيال الكاتبة.

كاتبة المسلسل "ميرال أوكاي" توفيت منذ فترة، ولكنها قبل وفاتها ردت على الهجوم السابق وقالت: "الحريم مكان خاص جدا تعيش فيه أسرة السلطان. دخلنا هناك، وأعتقد أن الانتقاد الرئيسي بدأ من هذه النقطة. لكن بالدخول إلى هناك جعلنا كل هذه الشخصيات التاريخية التي لا تمس والتي تحظى بالاحترام قريبة منا.. جسدناها كبشر يخاف ويغضب ويحب".

أوكاي قالت كذلك: إن المسلسل إطلالة خفيفة من قريب على واحدة من أقوى امبراطوريات العالم، وفيه تأكيد أن السلاطين العظام كانوا بشرا في النهاية ولديهم علاقاتهم الخاصة والحميمية، "من أحب الاطلاع على تاريخ السلطان المعظم سليمان القانوني؛ عليه بكتب التاريخ العميق؛ أما من أراد أن يستمتع بجمالية التصوير والخيال الدرامي؛ فعليه بمتابعة المسلسل" هكذا تحدثت كاتبة العمل.

ميرال نفسها تلقت العديد من الانتقادات؛ إذ اتهمت بأنها تتعمد تشويه التاريخ الإسلامي، وقد أثارت لغطًا كبيرًا في الشارع التركي، بعدما قالت في أحد البرامج

التليفزيونية إنها ترغب في حرق جثتها بعد وفاتها ونشر رفاتها في البحر، وهي الوصية التي لم تنفذ!

ميرال أوكاي من مواليد أنقرة عام ١٩٥٩، وتنقلت في عدة وظائف إلى أن احترفت كتابة السيناريو وألفت ٩ أفلام وخمسة مسلسلات، كان أشهرها "القرن العظيم" الذي سميت نسخته العربية بـ"حريم السلطان"، وتمت دبلجته بـ ١٢ لغة، وعرض في ٤٥ دولة.

أما "هويام خاتون" وهي إحدى الشخصيات الرئيسية في العمل التي تؤدي دورها الممثلة الألمانية ذات الأصل التركي "مريم أوزرال"؛ فهي شخصية جدلية تاريخيًا، إذ يراها البعض أحد أسباب ضعف الدولة العثمانية وآخرون يرونها إحدى الشخصيات العظيمة، هويام كانت جارية روسية سباها المسلمون في إحدى غاراتهم واسمها وقتها كان روكسلان ــ الكسندرا في المسلسل ــ وأهدوها للسلطان الذي أعجب بها واتخذها خليلة، ثم أعتقها وتزوجها وولدت له ابنه سليم الذي أصبح فيما بعد "السلطان سليم الثاني" والذي قام بغزو العديد من البلدان وإخضاعها للدولة العثمانية.

المدافعون عن هويام يقولون إنها أوقفت الكثير من الأموال للخير، وما زال بعض أوقافها الخيرية موجودًا في القدس حتى الآن، كما أنها بعد رجوعها من الحج أمرت بإكمال الطريق إلى مكة وتمهيده وحفر الآبار فيه وذلك خدمة للحجاج.

هذا وتبلغ حلقات الجزء الأول من العمل ٥٥ حلقة، وللمسلسل جزء ثانٍ، وقد أقيمت حفلة بداية تصوير المسلسل في "كان" بفرنسا، ويحتوي ديكور قصر توبكابي الفخم المكون من ١٥ غرفة على أرضيات من الرخام الحقيقي، وأعمال خشبية مصنوعة يدويًا، وقاعة عرش أوروبية مقلدة، أخرج المسلسل "دورول وياغمور تايلان"، اللذان يشتهران بكونهما مثل الأخوين كوين في تركيا، إن الإعتناء بالديكورات في المسلسل والميزانية المخصصة لها هي الأكبر في تاريخ الدراما التركية، كما تناقلت وسائل الإعلام التركية خبر مشاركة النجم العالمي "براد بيت" كضيف شرف يظهر في

بعض مشاهد العمل ويؤدي دور أحد أمراء الحرب الأوروبيين الذين يحاربهم السلطان سليمان، وقد قالت الصحف التركية إن براد بيت سيحصل على ٢ مليون دولار مقابل مشاركته في هذا العمل.

حكاية حريم السلطان

في صحيفة الاتحاد الالكترونية كتبت الكاتبة عائشة سلطان عن المسلسل تقول: كلما نظرت إلى شواهد الحضارة الإسلامية العملاقة والرائعة في مدينة إسطنبول؛ استحضرت كل المسلسلات والأعمال الدرامية والكتب التي قدحت في الدولة العثمانية وفي خلفائها، وسيطر عليّ ذلك السؤال الوجودي الكبير: هل التاريخ الذي قرأناه حقيقي فعلًا؟ صحيح فعلًا؟ ويمكن الوثوق به إلى درجة التصديق المطلق؟ هل يمكن اعتبار تاريخ سلاطين العثمانيين وعموم الدولة العثمانية جزءًا من تاريخنا كعرب، على اعتبار الرابط المشترك بيننا وبينهم في تلك الحقبة التاريخية، حين كان يتم توارث الخلافة ويتحول منتسبوها الى أتباع لمن يرث الخلافة وحدودها؟

هل ننتمي نحن كعرب في الجزيرة العربية فعلًا لتاريخ العثمانيين ونعتبره جزءًا من تاريخنا، بحكم العامل الديني الجيوسياسي المتداخل، الذي كان يوجه مصائر الناس فيما عرف قديما بدولة الخلافة الاسلامية؟ سؤال أستحضره اليوم وأنا أتابع سيرة السلطان العثماني سليمان القانوني وجاريته التي ستصبح لاحقًا سلطانة الدولة العثمانية من خلال حلقات مسلسل "حريم السلطان"، فأين الحقيقة وأين الخيال فيما نقرأ ونسمع ونشاهد ونتابع؟

لا يتوقف السؤال هنا، فللسؤال تتمة: أين المؤامرة والتشويه في سيرة رجل كالسلطان سليمان القانوني قالت عنه مئات المصادر الأجنبية قبل التركية، إنه قد لقب بالقانوني لشدة عدله وكثرة القوانين التي وضعها من أجل ضمان حياة عادلة ومستقرة

لشعبه، وإنه خاض من المعارك وضم من البلدان الشرقية والأوروبية لدولة الخلافة الإسلامية؛ ما جعل ملوك أوروبا يلقبونه بالسلطان العظيم أو الكبير.

من كتب سيرة سليمان القانوني التي نطالعها ونتابعها في الأعمال الدرامية اليوم؟ هل كتبت تلك السيرة بعقلية موضوعية متجردة منصفة، أم كتبت بذهنية من تأمل وعمل جاهد للإطاحة بالخلافة العثمانية، بعد أن تحولت إلى رجل أوروبا المريض؟ هل ما نشاهد مجرد عمل درامي تجاري بقصد الإبهار والربح، أم أنه عمل تاريخي تم تحقيقه والتوثق من أحداثه؟ وإذا كان العمل موثقًا، فلماذا هذه الدعوات لإيقاف بثه، لما يمثله من تشويه لسيرته؟

تدهشني عظمة القصور والمساجد في اسطنبول، يأسرني هذا البذخ والثراء والفن والعظمة السلطانية التي تنعم فيها هؤلاء السلاطين، وكل هذا الذي نتابعه في حريم السلطان من بذخ القصور وأبهة الملك ورونق الثياب والمجوهرات ليست من تصميم مصممي أزياء اليوم، إنها من نتاجات القرن السادس عشر لا أكثر، فأي عظمة؟

لقد سُمع وقع أقدام حوافر الجيش العثماني على أراضي النمسا والمجر وأعماق روسيا، وكانت اليونان وما جاورها أراضيَ تابعة لهم، كما كان المتوسط بحيرة عثمانية بامتياز، السؤال هنا: كيف يمكن لسلطان عادل كهذا، قانوني إلى هذه الدرجة، فارس مجاهد قوي البأس كسليمان: أن يُصور كرجل منغمس في الملذات والخمر والنساء؟ هل صُور بهذه الطريقة عمدًا، أم أنه كان كذلك بالفعل؟ مؤرخون كبار في تركيا وفي غيرها اعترضوا على عرض "حريم السلطان" لما فيه من اختراق لخصوصية الرجل، وتشويه لسيرته ولسيرة الجارية هويام التي ستصبح بعد إنجابها الولد سلطانة مسلمة عظيمة تركت الكثير من الآثار والأوقاف باسمها، كما تركت سيرة سلطان عثماني شهير هو ابنها السلطان سليم الأول.

هل هناك تصفية حسابات وثارات تاريخية موغلة في التاريخ على ساحة الدراما التاريخية التي نشاهدها مستمتعين بجمال المناظر والملابس ومؤامرات حريم السلطان؟ هل المسلسل التاريخي خطير جدا لدرجة توجب الحيطة والحذر في التعاطي مع حقائقه؟ هل تبيح الدراما لنفسها حق التعدي على الحقيقة التاريخية المطلقة لأغراض العمل؟

حريم السلطان.. مجددًا

وكتبت الكاتبة عائشة سلطان مجددًا:

بعد طول انتظار جماهيري؛ بدأ عرض الحلقات الجديدة من المسلسل التركي "حريم السلطان" في جزئه الثاني، وحسب ما أتذكر، فهو المسلسل الوحيد الذي حسم موعد عرضه عبر استفتاء جماهيري عبر وسائل الإعلام، ما أضاف للعمل هالة من الأهمية القصوى ومن التأكيد أكثر على مدى جماهيريته والنجاح الكبير الذي يحققه عرض جزئه الثاني كما حدث مع الجزء الأول، وهنا فنحن لسنا أمام ظاهرة فنية غريبة أو نادرة تحدث للمرة الأولى، ففيما سبق كانت هناك مسلسلات وأفلام حظيت بذات النجاح والاستقطاب الجماهيري الذي وظفته مؤسسات الإنتاج لصالحها بشكل در عليها عائدات مالية قدرت بالملايين، طالما أن هذه الأعمال تضع يدها على نقطة الضعف الحقيقية للجمهور أو تغازل الزوايا الخفية التي تشكل احتياجات واهتمامات هذا الجمهور!

و"حريم السلطان" لم يحظ باهتمام ومتابعة الجمهور فقط، ولكنه حظي أيضًا بانتقاد قطاعات واسعة من النقاد والإعلاميين ورجال التاريخ والدين، ممن رأوا فيه مغالطات تاريخية فاضحة بحق السلطان سليمان حسب آراء هؤلاء، كما هاجمه بعض ممن وجدوا فيه ترويجًا لفكرة تسليع المرأة فنيًا وتحويلها إلى مادة للفرجة وكسب المال وطبعًا لإثارة غرائز الرجال بتقديم هذا الكم الهائل من الـ "الحريم" الجميلات ضمن فضاء عالم الحرملك السلطاني العثماني!

يعود حريم السلطان بالفكرة نفسها مكررًا حكاية العلاقة الحميمية التي سرعان ما تربط السلطان المجاهد وصاحب الفتوحات، بالمرأة الفائقة الجمال التي تجلب لبلاطه أو للحرملك ضمن سبايا الحروب وغير الحروب، للدرجة التي تتحول حركة السلطان ــ الذي يدير نصف العالم ويغزو نصفه الآخر ــ إلى مجرد مناورات مراهق أو عاشق من النظرة الأولى، فيتساءل المشاهد: كيف غزا هذا السلطان أوروبا وهزمها ووسع امبراطورية العثمانيين، بينما يقضي أغلب أوقاته يطارد أميرة مسبية هنا وجارية مليحة هناك؟ أم أن هذه طبيعة ذكورية بحتة يتمتع فيها الرجل بقدرة الفصل بين القضايا والاهتمامات بعجائبية فائقة!

لماذا يحظى "حريم السلطان" بهذا الإعجاب والمتابعة منقطعة النظير وبين الرجال والنساء معًا؟ أغلب الظن أن هناك عددًا هائلًا من جميلات الفن التركي يمتلئ بهن المسلسل الأضخم إنتاجًا، ولأن بذخ الإنتاج مغر بالمتابعة فعلًا، ولأن الصنعة الدرامية التاريخية متقنة حد الإبهار، ولأن التاريخ كمحرك رئيس في الدراما ــ أي دراما ــ يشكل عامل جذب للجمهور لا يمكنه مقاومته، ولأنني أعتقد بأن أي مشاهد رجل يرى في نفسه السلطان سليمان محاطًا بحريمه الفاتنات من أمثال هويام والأميرة إيزابيل، كما أن أي امرأة تتمنى أن تكون هيام بكل هذا البذخ الذي تعيشه والأهم بكل هذه الرومانسية التي يغدقها عليها السلطان سليمان المعظم!

يستمتع المشاهدون حقًا بمتابعة العمل، لكن إن كان صناعه قد ارتكبوا مغالطات متعمدة لأغراض في نفوسهم أو لخدمة الهدف التجاري؛ فإن الأولى هو التصحيح الموضوعي العاجل وليس المطالبة بمنع العمل كما يحدث دومًا عندما نواجه أية تجاوزات بحق التابوهات الثقافية والتاريخية والدينية.

ماذا يرى المشاهد في "حريم السلطان"؟

التناقض بين الأقوال والأفعال ليس جديدًا، واتهام الإعلام بأنه السبب في كل بلاوينا وإشكالياتنا أيضًا ليس جديدًا، والهجوم الشرس الذي نشنه على أي فكرة أو

مشروع جديد أمر في طبيعة الإنسان بشكل عادي، وضمن السمات الشخصية للإنسان العربي، على اعتبار أن الإنسان عدو لما يجهل، والأمر هنا ليس جلدًا للذات، وليس انتقادًا للسلوك العربي ــ حاشا وكلا ــ لكنني تابعت تقلبات المزاج وتباين المواقف من مسلسل حريم السلطان مثلًا، فوجدت كثيرين قد شنوا حملة شرسة وهجومًا بلا هوادة على المؤسسة المنتجة، وعلى فكرة المسلسل، لكن الحملة سرعان ما خفتت حدتها ببلوغ المسلسل عرض حلقته الخامسة ربما.

لا أقول إن شيئًا قد تغير من الأسس التي انتقد المسلسل بسببها، فالمسلسل ما زال هو المسلسل، والفكرة ما زالت نفسها، والمغالطات تملأ العمل، والاعتراضات ما زالت قائمة من قبل الأتراك قبل العرب أو المتعصبين من العرب تحديدًا، لكن الذي حدث أن سطوة الصورة التليفزيونية قد استحوذت على أذهان وعيون الكثيرين، فتحولوا إلى متابعين مدمنين، بعد أن كانوا متابعين متذمرين أو منتقدين!

في مقال سابق؛ كنت قد طرحت قراءة على هامش المسلسل حول الكتابة التاريخية للتليفزيون، وإلى أي درجة يحق لكاتب الدراما التاريخية أن يشغل خياله في اختراع أحداث لم تكن موجودة أصلًا، وشخصيات لا أساس لها في الواقع التاريخي، وقد قال لي كثيرون من أهل هذه الصنعة بأن ذلك جائز وضروري، وقد تألقت أعمال كثيرة في هذا الاتجاه كالفيلم الأسطوري "تايتانيك" الذي صيغ كفيلم مرتكز على واقعة حقيقية، حبكت حولها قصة حب رومانسية بين شاب معدم وواحدة من بنات الطبقة الأرستقراطية، عشية غرق تايتانيك!

تلك القصة الناعمة جدًا، التي منحت الفيلم روحه وتألقه ووصفة نجاحه، لا أساس لها من الصحة في واقعة غرق السفينة، وهي مقبولة جدًا، لكن الأمر يختلف عندما يتعلق بسيرة رمز إسلامي يرتبط في الذهنية المسلمة بتاريخ طويل من الجهاد والفتوحات وسن القوانين وإحلال العدل ودولة الإنصاف، كما كان السطان القانوني، مع ذلك؛ فالذين قادوا حملة الهجوم سرعان ما تلاشى صوتهم: هل ذلك لأن أحدًا لم يلق لهم بالًا؟ هل لأن المؤسسة مضت في عرضها وتحدتهم في تحقيق نجاح كاسح للمسلسل، هل وقعوا تحت

سطوة جماليات الصورة والأحداث؟ هل تلاشوا ضمن الجماهير التي تعلقت بالعمل؟ ربما، وربما لا!

لكن التناقض الذي عنيته أن هناك كثيرين ممن انتقدوه قد تحولوا الى مدمنين على مشاهدته، والدخول في أوهام وخيالات وأحلام القصور والجواري والسلطان، هذا الحلم الأزلي لعديد من الرجال الذين يسكن في أعماق لا وعيهم سلطان عظيم يملك القصور والجواري، ويتحكم في مصائر العباد، لهذا فالعمل لا يقصد تشويه القانوني لكنه عمل بحرفية وقصدية تامة لاستغلال سيرة السلطان القانوني وتوظيفها لتحقيق هذا النجاح وتهافت شركات الإعلانات، وهنا يثور السؤال الأخلاقي: إلى أي درجة يجوز ذلك؟

الحمد لله أن لا مجال لعودة عصر الجواري، ولا مجال لوجود سلطان يبدل زوجاته كما يبدل أغطية سريره كل يوم، والحمد لله أن الرجال ليس بإمكانهم تحقيق هذه الحياة المتخيلة لهم، التي لا تعني سوى المزيد من الشقاء والعذابات لآخرين، لكننا سنطرح سؤالا آخر: ما الذي يراه الرجال في مسلسل حريم السلطان بالضبط إذا كان كل ما قلناه آنفًا ليس صحيحًا؟

المسلسل التركي حريم السلطان.. بين نقد أردوغان وحقائق التاريخ

هذه المقالة بقلم الصحفي هاني الجزار يقول:

من خلال مشاهدتي لهذا المسلسل وبحسب دراستي المستفيضة من المصادر التاريخية عن تاريخ الدولة العثمانية ولا سيما عن السلطان سليمان القانوني، أود توضيح عدة مسائل وأقدم رؤية ربما تجعل المشاهد على بينة من الحقائق، ولابد لنا كمسلمين أن نعرف تاريخنا الإسلامي، وللحقيقة أن ذلك المسلسل قوي من جانب القصة والسيناريو والتمثيل والإخراج، ويستحق المشاهدة، ومن جانب الحقائق التاريخية؛ فإن المسلسل لا يمكن أن نصفه بأنه حقائق بقدر ما هو تمثيل قصد به إمتاع المشاهد، ولنكون منصفين؛ لابد من تناول الأدوار لنعرف مدى صحة التاريخ، فالمسلسل تدور قصته حول

السلطان سليمان بطل هذا المسلسل وزوجته هويام تلك الجارية التي أحبها كثيرًا وفضلها على جميع نسائه، والتي حاكت المؤامرات المتعددة للتخلص من خصومها، سواء زوجة السلطان ناهد دوران أو مسئول الجناح الملكي إبراهيم أو أم السلطان نفسه، كما يصور المسلسل حالة القصر من الداخل ويركز على حريم السلطان وهن مجموعة كبيرة من النساء التي لا حصر لهن، وكلهن للسلطان الحق بالاستمتاع بهن تحت بند جواري السلطان وشرعيًا هن ملك يمينه، وهن بالعموم إما سبايا حروب أو هدايا للسلطان ممن يتم سبيهن من دول أخرى أو شراؤهن من السوق، ولكن المسلسل يصور السلطان رغم حالة القصر والحرملك، بأنه كان سلطانًا قويًا عادلًا يطبق القانون على الجميع بلا استثناء، حتى إنه أعدم زوج أخته لأنه كان فاسدًا، كما أن السلطان سليمان ومن خلال المسلسل يفتح الكثير من البلاد، بل وترتعب منه أوروبا والبابا في الفاتيكان، إلا أن المسلسل يصور السلطان ضعيفًا أمام هويام وهي الجارية المحبوبة له وأمام تلك المقدمة ربما نستطيع تقييم المسلسل وما له وما عليه.

بادئ ذي بدئ؛ فالمسلسل شيق وممتع ويستحق المشاهدة، كما أنه يصور حالة القوة للخلافة الإسلامية، وكيف أنها كانت الأولى عالميا بجميع المجالات ولا سيما المجال العسكري، وقدرة تلك الخلافة على حماية كيانها وفتح بلاد جديدة لنشر الإسلام، كما أن المسلسل يصور حالة العدالة المتناهية لذلك السلطان بين رعيته وحفاظه على كرامة الناس بلا استثناء، وبالنسبة للجواري (حريم السلطان)؛ فهي حالة عادية جدًا بذلك العصر ولا تخالف شرعًا أو قانونًا آنذاك، ولابد لنا أن نتخيل تفكير الناس في ذلك العصر؛ لا أن نحكم بمفاهيم وقيم العالم اليوم وشرعيًا أباح الإسلام الجواري وفي القرآن الكريم تسمى (ملك اليمين)، ولا يختلف اثنان من العلماء على أن للرجل حقً فيما ملكت يمينه بالاستمتاع بها متى شاء من دون زواج ولا حصر لعدد ملك اليمين مهما بلغن من عدد، فكيف للسلطان القوى الفاتح وبالنسبة لحقه بالاستمتاع؛ فقد كفل ذلك له الشرع ولا يعيبه عددهن وجمالهن وحتى مدى وكم استمتاعه بهن؛ وخصوصًا أن علمنا أنه لم يقصر بوجباته كخليفة وسلطانًا للمسلمين من حيث العدالة والفتوحات، ناهيك على أن هذا الأمر كان منتشرًا في كل العالم، وبخصوص جاريته

المفضلة هويام التي أعطاها حريتها في الحلقة الـ٤٨ من الجزء الثاني، ومن ثم تزوجها؛ فقد صورها المسلسل بأنها داهية وتحيك المؤامرات لغيرها.

ولكن المتابع للمسلسل يكتشف أن ما فعلته كان دفاعًا عن النفس؛ خصوصًا أنها تعرضت لكثير من المؤامرات لتصفيتها والتخلص منها، سواء من الصدر الأعظم مسئول الجناح الملكي أو أم السلطان أو زوجة السلطان الأولى، ولا يعيبها ذلك، فقد استطاعت بذكائها وجمالها وحنكتها أن تكسب السلطان وتعطيه ما كان يفتقده من كل نساء القصر (ولكل مجتهد نصيب)، وحقيقة أن المسلسل قدم صورة درامية هائلة يستمتع بها المشاهد، ولكن هل ما ذكره المسلسل حقائق أم مجرد دراما؟ وللإجابة عن ذلك ومن خلال البحث والتدقيق في مصادر التاريخ العثماني؛ لابد من التوضيح أن كثيرًا مما ذكر كان مجرد دراما لا أساس له من الصحة؛ خصوصًا تلك المؤامرات المتبادلة من قبل هويام وأم السلطان وزوجته الأولى ومسئول الجناح الملكي، وحتى شخصية هويام بحد ذاتها تم تضخيم دورها بخلاف التاريخ الحقيقي، فقد كانت فعلًا جارية مفضلة، ولكنها أسلمت بعد أن كانت مسيحية وحسن إسلامها وقامت بأعمال خيرية متعددة مثل بناء استراحات للحجيج لبيت الله الحرام وبناء مشارب مياه للحجيج، وكانت عاملًا مساعدًا للسلطان لنشر الإسلام في ربوع العالم، وإن كانت هناك غيرة من قبل زوجته الأولى والسلطانة الأم؛ فذاك طبع النساء، ولكن الأمور لم تصل لحد مؤامرات بالاغتيال للطرف الآخر، ومن جانب آخر لم يوفق المسلسل في تصوير حالة الحرملك ونساء القصر من حيث لبسهن الفاضح، الذي يظهر صدورهن بهذا الشكل المبالغ فيه، بل كانت الحشمة سيدة الموقف في الحرملك، وكانت حتى العادات تلزم بتغطيه أجسادهن، ولكن المسلسل أراد من ذلك ربما تشويق وتسويق للمسلسل، وقد أعطى لبسهن الفاضح علامة استفهام واعتراض لكثير من علماء المسلمين، وممن اعترض رئيس الوزراء التركي الذي ينتسب لحركة إسلامية، وأنا لست موافقًا لرأيه بتقديم مخرج المسلسل ومؤلفه للمحاكمة وللقضاء؛ لأن إيجابيات المسلسل أكثر بكثير من سلبياته، وعلى الأقل فقد أعطى للأتراك وللعالم كله صورة واضحة وجلية عن عظمة الإسلام وقوته، وكيف أن كل العالم يحسب ألف حساب لكلمة السلطان المسلم

من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه ومن الطبيعي أن يشمل المسلسل مثل تلك الصور والدراما، ولا سيما أن السينما التركية هي علمانية محضة ولا تعرف من الإسلام إلا رسمه، ولست أنا مع من كانت ملاحظته على المسلسل بأن يصور السلطان زير نساء ويلوموا بأنه كان فارسًا يركب الخيل للفتوحات فقط، وقد اتفقنا على أن الشرع يبيح ذلك، ومجمل القول ولنختم المقالة؛ فإن ذلك المسلسل التاريخي قدم خدمة كبيرة تجلت في توضيح مدى وقوة الدولة الإسلامية ولا ينقص من تلك الفكرة تصوير حريم السلطان وجواريه إلا مسألة التبرج والزي الفاضح فقط، ولا ننسى أن ٩٠٪؛ ما يعرض على التلفاز لنساء متبرجات، وربما أكثر فلماذا ندقق في المظاهر كثيرًا، وننسى الفوائد الأكثر؟ وإن كان لا بد من تقييم وتقويم من قبل أردوغان لهذا المسلسل فعليه ان ينتبه للسينما والدراما التركية ويعطيها من وقته كما نجح في معظم المجالات الأخرى؛ لتكون الدراما أكثر التزامًا والأخذ بعين الاعتبار أن الناس لا يمكنهم الاستغناء عن المشاهدة، فلنقدم لهم مشاهدات طيبة قوية؛ لأننا لن نستطيع منع الناس من المشاهدة لمئات الفضائيات ولنقدم البدائل الأقوى.

محاضر بقسم التاريخ بجامعة الأقصى

د. أماني غازي: مسلسل "حريم السلطان" شوّه صورة السلاطين وقدم عملًا مبهرًا للعين لا حقائق تاريخية

قدمت الدكتورة أماني غازي الأستاذ مساعد بقسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، نقدًا لمسلسل "حريم السلطان" تحت اسم "نقد صورة الحريم العثماني من خلال مسلسل حريم السلطان".

موضحة أن المسلسل الذي يُعرض هذه الأيام، قدم شخصية السلطان سليمان القانوني، وهو من أفضل سلاطين الدولة العثمانية، وكان رجلًا عظيمًا بمعنى الكلمة، ولُقب عدة ألقاب، إذ لقّبه ملوك أوروبا بالسلطان العظيم أو السلطان الفخم، فقد بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج قمتها وإبداعها الحضاري، وتطورت الدولة العثمانية في عهده بقوة وزاد ازدهارها وتطورها، ومن أجل ذلك قررت تركيا إنتاج مسلسل ضخم يتناول شخصيته.

وتشير الدكتورة الغازي إلى أن المسلسل من تأليف كاتبة السيناريو الشهيرة ميرال أوكاي، وعلى الرغم من الديكورات الفخمة والمجوهرات اللامعة والملابس المناسبة للقرن ١٦م، ومع ذلك؛ نجد أن السيناريو أضّر بشدة بضخامة العمل.

وتستطرد الدكتورة أماني غازي: إن ٦٠% من أحداث المسلسل حبكة درامية، و٤٠% حقائق تاريخية، وبذلك فقد شوّه المسلسل شخصية تعتبر من رموز التاريخ الإسلامي، ولم تقدم أبدًا إظهار الحقيقة في التاريخ العثماني، فعلى سبيل المثال لا الحصر أخرج المسلسل نظام الحريم العثماني بشكل خاطئ تمامًا، حيث أوضح أن الرجال يختلطون بالنساء بشكل طبيعي جدًا وهذا خاطئ تمامًا، لأنه في الواقع لم يدخل إلى القصر النسائي رجل غريب يومًا إلا السلطان والطبيب في بعض الأحيان، بينما يتواجد الحرس خارج الحرملك، حتى إنه لا يوجد الأغاوات داخل الحرملك، لأن النساء لا يجوز لهن الظهور على غير المحارم، بالإضافة إلى أنه ليس جميع النساء في الحرملك ملكًا للسلطان، فهنالك موظفات وإداريات وقليل جدًا من ملك اليمين له، ولا يجوز له أن يتكشّف عليهن، بالإضافة إلى أنه يوجد لديهن مدة خدمة تبلغ تسع سنوات؛ إذا أنهتها

يحق لها العتق والخروج من الحرملك والزواج أيضًا، طالما أنها لم تصبح إحدى زوجات السلطان. ومن المغالطات التي بدت واضحة في المسلسل أصل البطلة وهي الزوجة المفضلة لدى السلطان «روكسلانا» فهي لم تكن روسية؛ وإنما ابنة كاهن أوكراني سلافي كاثوليكي ووقعت أسيرة في يد التتار، إضافة إلى أن السلطان ظهر؛ كأنه طيلة الوقت في القصر وأن من يتولى الأمور ويديرها الصدر الأعظم، على الرغم من أن السلطان سليمان القانوني كان عصره هو العصر الذهبي. لتنتقل بعد ذلك إلى قصر السلطان سليمان القانوني لترشحها والدته (عائشة خاتون) لتصبح من ضمن زوجاته. وترى الدكتورة أماني غازي أنه على الرغم من جودة الإخراج وضخامة الإنتاج، إلى أنه لا يُعتبر مسلسلًا تاريخيًا ذا جودة عالية في حقيقة الأحداث التاريخية، وإنما نخرج منه بأنه عمل مُبهر لعين المشاهد العربي فقط.

وفي ختام نقدها للمسلسل، تقول الدكتورة أماني غازي: بالنسبة لنا كمختصّين في التاريخ العثماني؛ كنا ننتظر مسلسلًا تاريخيًا عثمانيًا يُظهر الجانب والمضمون للدولة العثمانية، وليس عملا يشوّه صورة السلاطين العثمانيين أكثر ويظهر أن محور اهتمامهم منحصر في الحريم.

انتقاد رجب طيب أردوغان للمسلسل

في هذا السياق فقد اتهم رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان المسلسل بمحاولة عرض الجانب السلبي لتاريخ تركيا للجيل الشاب، ومن جانب آخر فقد رأى المشاهد العربي أنه كان "مخدوعًا" بعد اكتشافه من خلال مسلسل حريم السلطان كيف تكون المسلسلات التاريخية.

وقال في تعليق أول له عليه "ليس لدينا أجداد مثلما يجري تصويرهم في المسلسل"، ونقلت وكالة "الأناضول" التركية للأنباء عن "أردوغان" قوله خلال مراسم افتتاح مطار ومشاريع أخرى في ولاية "كوتاهية": "نعيش في هذا العالم ذي السبعة مليارات نسمة، ونعرف ما هي وظيفتنا، نذهب إلى كل بقعة وصل أجدادنا إليها على ظهر الخيول، ونهتم بتلك المناطق".

وأضاف "نحن لا نعرف السلطان سليمان القانوني بالشخصية التي يظهر بها في المسلسل"، لافتاً إلى أن الأخير قضى ٣٠ عامًا من عمره على ظهر الخيول في إطار الحروب والفتوحات التي خاضها.

وندد «أردوغان» بمخرجي هذا النوع من المسلسلات، وأصحاب القناة التليفزيونية التي تعرضها، مشيرًا إلى أنه تم تحذير المعنيين بالمسلسل، وأنه ينتظر قرارًا قضائيًا بهذا الشأن.

ورغم شعبية المسلسل الذي يعرض في العالم العربي والعديد من الدول الأوروبية، فقد صدر الكثير من الانتقادات له واتهمته بتشويه صورة السلطان سليمان بتقديمه صورة السلطان المحاط بالنساء والخاضع لزوجته هرم (السلطانة هويام) في المسلسل.

الفصل الرابع

رؤية من زاوية سياسية



بعيدًا عن كل ما سبق؛ فإن السياسة ربما تفسر لماذا هذه الكثافة الإنتاجية في الأعمال الدرامية التركية والموجهة نحو الشرق الأوسط تحديدًا، فالعالم عامة والشرق الأوسط خاصة صار محل نزاع وتصارع القوى السياسية العظمى والمؤثرة في اتجاهات وتوجهات الدول سياسيا واقتصاديا؛ بل وثقافيًا كذلك، فبعد أن كانت تركيا تقود أوروبا في عصر العثمانيين؛ صارت اوروبا ومعها أمريكا تقود العالم؛ وربما اقتادت بهما تركيا؛ فلم يعد الغزو عبر الآلات والعسكر والمعدات الحربية، بقدر ما صار عبر الثقافة واللغة والعادات، ولا أريد أن نخدع أنفسنا بالتاريخ المشترك ـــ الإسلامي ـــ فقد تخلت تركيا الدستور الإسلامي منذ أن سقطت الخلافة العثمانية بعد أن ضعفت.

أطرح هنا ملخصًا لكتاب يتناول التوجه الجديد للسياسة لتركية نحو الشرق الأوسط:

يعكس الانغماس التركي المتزايد في شؤون الشرق الأوسط رغبة تركيا في التحوّل إلى قوة عظمى إقليمية واثقة من نفسها. ومع ذلك؛ معالجة أنقرة الانفعالية للقضية التركية كانت ارتكاسية، ومشوبة بالمخاوف وفقدان الشعور بالأمن. وتخلص دراسة جديدة لمؤسسة كارنيجي إلى أنه ما لم تتعلم تركيا كيفية الموازنة بين أولوياتها المتضاربة، فستشهد تفاقمًا للقومية المتطرفة والنزعة الانعزالية فيها.

يشرح واضع الدراسة عمر تشبينار طبيعة الدافعين المتنازعين وراء الحيوية التركية الجديدة في الشرق الأوسط وهما: "العثمانية الجديدة" التي تشدد على الانغماس واستعراض النفوذ، مستعيدة بذلك ماضي تركيا الإسلامي والإمبريالي متعدد الثقافات؛ و"الكمالية" التي تهدف إلى استئصال التهديد المفترض للقومية الكردية وإلى حماية هوية تركيا العلمانية والقومية. ويدرس تشبينار تأثير التطورات السياسية التركية الأخيرة، خصوصًا عودة بروز التحدي الكردي، على السياسة الخارجية التركية، كما يستطلع آفاق علاقات أنقرة مع الغرب والشرق الأوسط، بما في ذلك علائقها الوثيقة مع سوريا وإيران.

خلاصات رئيسة:

العثمانية الجديدة هي المحرّك الرئيس للسياسة الخارجية للحزب الحاكم في تركيا. ويطل نقاد هذا الحزب، وفي مقدمهم الجيش والمؤسسة القومية الأمنية، على العثمانية الجديدة وعلى استخدامها القوة اللينة في الشرق الاوسط، على أنها تهديد للهوية العلمانية الكمالية لتركيا.

تشعر المؤسسة العلمانية القومية التركية بالامتعاض من الغرب؛ بسبب دعمه للأكراد و"الإسلام المعتدل" في تركيا، فيما تحبّذ العثمانية الجديدة إقامة علاقات طيبة مع واشنطن وبروكسل. وهذا التباين في مواقف الطرفين يشكّل إعادة تموضع مهمة في السياسة الخارجية التركية.

كلا الفريقين يحبّذ تحسين العلاقات بين أنقرة وبين طهران ودمشق. وتعتبر العثمانية الجديدة أن هذه الخطوة جزء من تنامي النفوذ الإقليمي التركي، فيما يرى الكماليون هذه العلاقات أنها مجرد مصالح مشتركة تتمثّل في احتواء القومية الكردية ومنع بروز كردية أمة مستقلة على حدود تركيا.

إذا ما وقع انقلاب عسكري أو قضائي وأطاح بحزب العدالة والتنمية ــ كما أوشك أن يحدث في نيسان / إبريل ٢٠٠٧ وتموز / يوليو ٢٠٠٨ ــ فإن شكلًا راديكاليًا من الكمالية سيهيمن على السياسات الخارجية والداخلية التركية، وهذا سيقود إلى مواقف أكثر تصعيدًا ضد التحدي الكردي، خصوصًا في العراق.

يخلص تشبينار إلى القول:

"الرهانات والمخاطر بالنسبة إلى تركيا وإلى مستقبل منطقة الشرق الأوسط كبيرة، وتعتبر تركيا، التي تضمّ ما يزيد على ٧٠ مليون مسلم، أكثر الديمقراطيات تقدّمًا في العالم الإسلامي. ومن شأن استقرارها وتوجهها الغربي وسيرها قدمًا في اتجاه الاتحاد الأوروبي؛ أن يجعل منها سوقًا كبيرة متنامية للبضائع الغربية، ومساهمة في إمداد أوروبا

باليد العاملة التي هي بأمس الحاجة إليها، ونموذجًا ديمقراطيًا للعالم الإسلامي كافة، وذلك إلى جانب كونها عامل استقرار مؤثرًا في العراق وشريكًا في أفغانستان. وفي المقابل؛ من شأن تركيا معزولة، وسلطوية، وممتعضة، أن تكون عكس كل هذه الأشياء. وإذا ما سارت السياسات المحلية في الاتجاه المخطئ، فستتوقف تركيا عن كونها قصة نجاح ديمقراطي؛ لتصبح عامل لا استقرار في الشرق الأوسط.

د. مصطفي اللباد

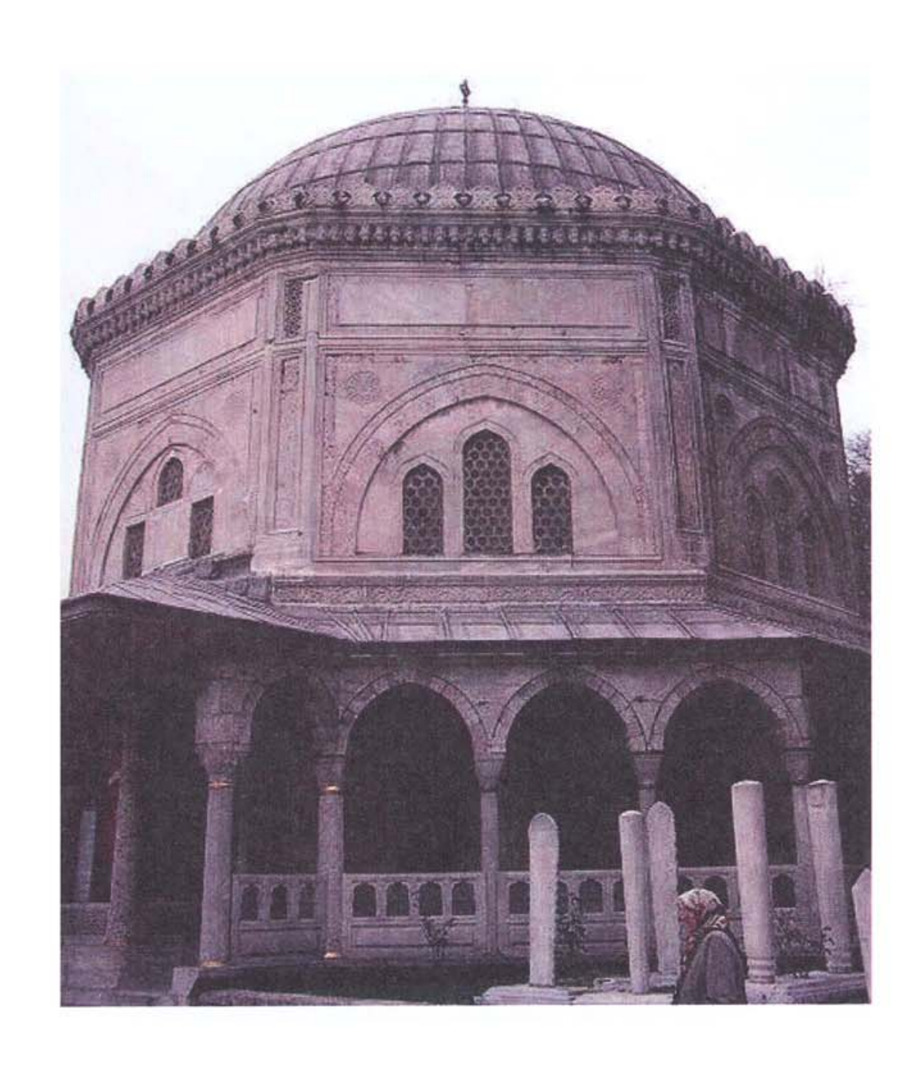
عادت تركيا بقوة إلي معادلات الشرق الأوسط بعد طول غياب، عبر سياسة إقليمية متوازنة وصاعدة وضعت بلادها في بؤرة الأحداث، بعد أن حجزت لتركيا مكانة "المرجعية الإقليمية" في المنطقة. كان الطريق شاقًا أمام هذه العودة، إذ تضافرت الكوابح الداخلية التركية مع قيود الالتزامات الدولية في مزيج مدهش من العوائق. ولكن السياسة الإقليمية التركية، المدموغة بخاتم وزير الخارجية أحمد داود أوغلو، خطت فوق العوائق السياسية والحساسيات التاريخية لتعيد تركيا إلي جوارها الجغرافي والحضاري بعد عقود من الغياب. ألغت السياسة الإقليمية التركية الجديدة تلك الثنائيات التي استقرت في الأذهان لفترات طويلة، وعلي الأخص ثنائية إما التوجه غربا أو التوجه شرقا، بحيث بدا في مراحل سابقة وكأن التوجه نحو أوروبا والغرب يتطلب تنازلا عن مد الروابط والجسور نحو الشرق.

استعملت السياسة الخارجية التركية "كسارة الثنائيات" بشكل عقلاني ومنهجي، مستندة إلى خيال سياسي استثنائي وطموح لا يعرف الكلل، ولكنها أسندت كل ذلك إلى أساس واقعي يعكس وعيًا عميقًا بتركيبة وهياكل المنطقة، فأحرزت لتركيا أقصى ما يمكن أن تحصل عليه في ظل التوازنات الدولية والإقليمية القائمة.

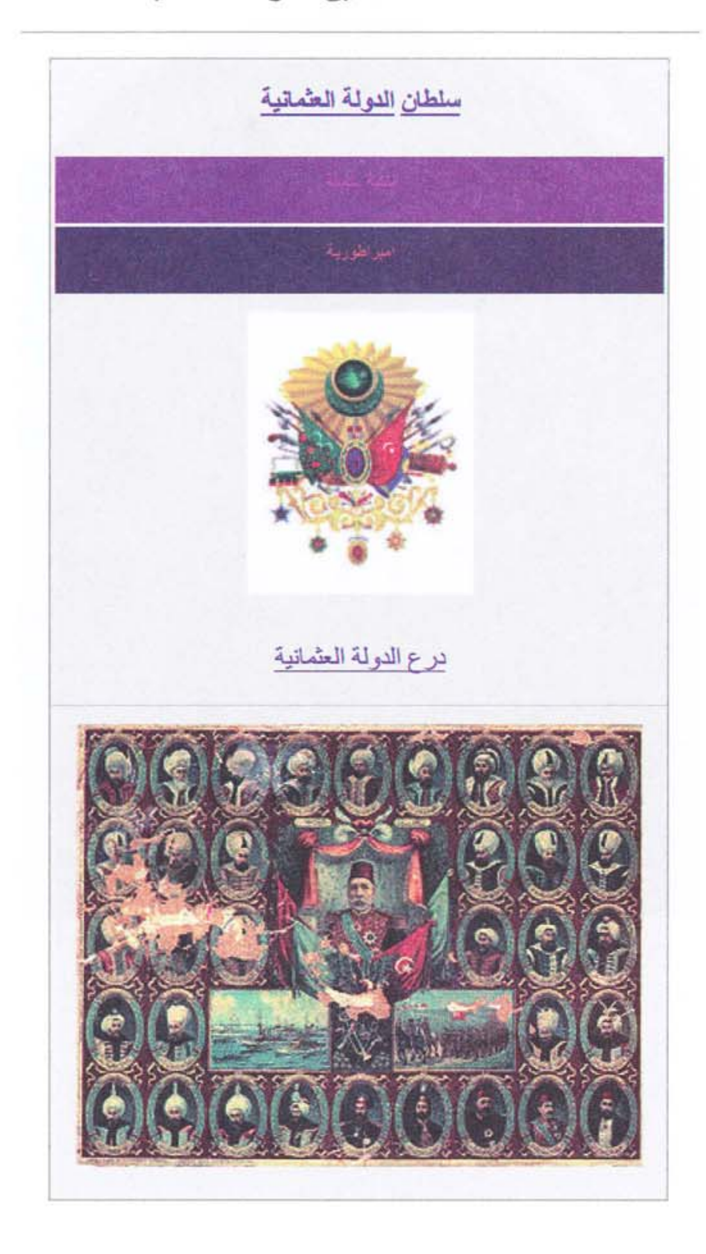
قد يبدو للوهلة الأولي أن هناك تصادما بين توجه تركيا نحو الشرق الأوسط وتوجهها نحو الاتحاد الأوروبي في الغرب، وهو أمر غير صحيح لعدة اعتبارات؛ يتقدم

هذه الاعتبارات حقيقة مفادها أن جانبًا كبيرًا من المقبولية الشعبية والنخبوية، التي تحظى بها تركيا في المنطقة، يعود إلي النموذج الذي تقدمه من حيث الانفتاح على الغرب، والتناوب السلمي على السلطة بين أحزابها السياسية، والتقدم الاقتصادي الذي أحرزته بحيث أصبحت الاقتصاد رقم ١٧ على العالم، وكلها اعتبارات وعوامل ما كان لتركيا أن تحظى بها دون ارتباط عميق مع الغرب. وعلى الناحية الأخرى، فمن شأن دور تركيا المتعاظم في الشرق الأوسط أن يضمن للاتحاد الأوروبي أدوارًا في صراعات الشرق الأوسط الملتهبة بما يحفظ المصالح الأوروبية فى تلك المنطقة فائقة الأهمية بمعادلات السياسة الدولية، ويجعل تركيا في الوقت ذاته "دولة حاجزة" لوصول آثار الصراعات الشرق أوسطية إلي قلب الاتحاد الأوروبي.

هنا دور مزدوج تؤديه تركيا حيال الشرق الأوسط من منظور المصالح الأوروبية، ولكن اختزال السياسة الخارجية لتركيا إلى الاختيار بين "سياسة شرقية" أو "سياسة غربية" يؤدي إلى العودة بالتحليل السياسي لمرحلة عصور تاريخية خلت، فيفقده رصانته والتنوع الواجب لطبقاته ومستويات تحليله.



قائمة سلاطين الدولة العثمانية



السلاطين العثمانيون من عثمان الأول إلى محمد الخامس

أول عاهل	عثمان الأول
آخر عاهل	محمد السادس
الأسلوب	صاحب الجلالة السلطانية[a]
الاقامة الرسمية	قصور في إسطنبول: ▪ طوب قپو(1460s–1853) ▪ ضولمابهچه(1853–89) ▪ يلدز(1889–1909) ▪ ضولمابهچه(1909–22)
المُعيّن	وراثية
الملكية بدأت	1299
الملكية انتهت	1922

العثمانيون، آل عثمان، الأتراك: سلالة تركية حكمت في الأناضول والبلقان وفي أراض واسعة أخرى، ما بين سنوات ١٢٨٠-١٩٢٢.

قائمة السلاطين



الراية السلطانية العثمانية

*السلطان المخلوع (خط غامق) ← هو السلطان الذي لم تنته فترة حكمه بالموت الطبيعي

ملاحظات	الطغراء	نهاية الحكم	بداية الحكم	صورة	السلطان	#
▪ Son of Ertuğrul Bey; ▪ Reigned until his death.[1]	— [c]	c. 1324	c. 1299		عثمان الأول	1
▪ Son of Osman I and Mal Hatun; ▪ Reigned until his death.[2]		c. 1360	c. 1324		اورخان	2
▪ Son of Orhan and Nilüfer Hatun; ▪ Reigned until his death; ▪ **Killed on the battlefield** at theBattle of Kosovo.[3]		1389	c. 1360		مراد الأول *Hüdavendigar*	3
▪ ابن مراد الأول و Gülçiçek Hatun; ▪ **Captured on the battlefield** at theBattle of Ankara (*de facto* end of reign);		1402	1389		بايزيد الأول *الصاعقة*	4

▪ Died in captivity in Akşehir on 8 March 1403.[4]						
Ottoman Interregnum[d] (1402–1413)						
▪ Devlet Hatun;ابن بايزيد الأول ▪ Reigned until his death.[5]		1421	1413		محمد الأول	5
▪ Son of Mehmed I and Emine Hatun;[6] ▪ **Abdicated** of his own free will in favour of his son Mehmed II.[7]		1444	1421		مراد الثاني	6
▪ ابن مراد الثاني و Hüma Hatun;[8] ▪ **Surrendered the throne** to his father after having asked him to return to power.[7]		1446	1444		محمد الثاني *the Conqueror*	7
▪ Second reign; ▪ Forced to return to the throne following a Janissary revolt;[9] ▪ Reigned until his death.[6]		3 فبراير ١٤٥١	1446		مراد الثاني	—

@iAbubader

—	محمد الثاني *the Conqueror*		3 فبراير ١٤٥١	3مايو ١٤٨١		▪ الفترة الثانية; ▪ Captured Constantinople in 1453; ▪ حكم حتى وفاته.
8	بايزيد الثاني		19مايو ١٤٨١	25 ابريل ١٥١٢		▪ ابن محمد الثاني و Mükrime Hatun; ▪ **نزل عن العرش;** ▪ Died near Didymoteicho on 26 May 1512.[10]
9	سليم الأول *the Grim*		25 ابريل ١٥١٢	21 سبتمبر ١٥٢٠		▪ ابن بايزيد الثاني وجلبهار سلطان; ▪ حكم حتى وفاته[11].
10	سليمان الأول القانوني or *the Lawgiver*		30 سبتمبر ١٥٢٠	6أو ٧ سبتمبر ١٥٦٦		▪ ابن سليم الأول و حفيظة خاتون; ▪ حكم حتى وفاته[12].
11	سليم الثاني *the Sot*		29 September 1566	21 December 1574		▪ Son of Suleiman I and Hürrem Sultan (Roxelana); ▪ حكم حتى وفاته[13].

12	مراد الثالث		22 ديسمبر ١٥٧٤	16 يناير ١٥٩٥		▪ Son of Selim II and Nur Banu Sultan; ▪ حكم حتى وفاته[14].
13	محمد الثالث		27 يناير ١٥٩٥	20أو ٢١ ديسمبر ١٦٠٣		▪ Son of Murad III and صفيه سلطان; ▪ حكم حتى وفاته; ▪ **Assassinated**.[15]
14	أحمد الأول		21 ديسمبر ١٦٠٣	22 نوفمبر ١٦١٧		▪ Son of Mehmed III and Handan Sultan; ▪ حكم حتى وفاته[16].
15	مصطفى الأول		22 نوفمبر ١٦١٧	26 فبراير ١٦١٨		▪ ابن محمد الثالث وامرأة غير معروفة; ▪ **خلع** ابن أخيه الصغير عثمان الثاني[17].
16	عثمان الثاني		26 فبراير ١٦١٨	19مايو ١٦٢٢		▪ Son of Ahmed I and Mahfiruz Sultan; ▪ حكم حتى وفاته; ▪ **Assassinated** by the Janissaries.[18]

—	مصطفى الأول		20مايو ١٦٢٢	10 سبتمبر ١٦٢٣		▪ Second reign; ▪ عاد الى العرش بعد اغتيال ابن اخيه; ▪ **Deposed** and confined until his death in Istanbul on 20 January 1639.[17]
17	مراد الرابع		10 سبتمبر ١٦٢٣	8أو ٩ فبراير ١٦٤٠		▪ Son of Ahmed I and Kösem Sultan (Mahpeyker); ▪ حكم حتى وفاته[19].
18	ابراهيم		9 فبراير ١٦٤٠	8 اغسطس ١٦٤٨		▪ Son of Ahmed I and Kösem Sultan (Mahpeyker); ▪ **خلع** في انقلاب قاده Grand Mufti; ▪ **Assassinated** in Istanbul on 18 August 1648.[20]
19	محمد الرابع		8 اغسطس ١٦٤٨	8 نوفمبر ١٦٨٧		▪ Son of Ibrahim and Hatice Turhan Sultan; ▪ **Deposed** following the Ottoman defeat at the Battle of Mohács; ▪ توفي في Edirne في ٦ يناير ١٦٩٣[21].

20	سليمان الثاني	8 نوفمبر ١٦٨٧	22 يونيو ١٦٩١		▪ ابن ابراهيم و Saliha Dilâşub Sultan; ▪ Reigned until his death.[22]
21	أحمد الثاني	22 يونيو ١٦٩١	6 فبراير ١٦٩٥		▪ ابن ابراهيم وخديجة معزز سلطان; ▪ Reigned until his death.[23]
22	مصطفى الثاني	6 فبراير ١٦٩٥	22 اغسطس ١٧٠٣		▪ ابن محمد الرابع وأمة الله ربيعة گول‌نوش سلطان؛ ▪ **خلع** في تمرد الإنكشاري; ▪ Died in Istanbul on 8 January 1704.[24]
23	أحمد الثالث	22 اغسطس ١٧٠٣	1أو ٢ اكتوبر ١٧٣٠		▪ ابن محمد الرابع وأمة الله ربيعة گول‌نوش سلطان؛ ▪ **خُلع** في تمرد الانكشارية بقيادة باترونا خليل; ▪ Died on 1 July 1736.[25]
24	محمود الأول	2 اكتوبر ١٧٣٠	13 ديسمبر ١٧٥٤		▪ ابن مصطفى الثاني وصالحة سلطان; ▪ Reigned until his death.[26]

▪ Son of Mustafa II and Şehsuvar Sultan; ▪ حكم حتى وفاته[27].		29أو ٣٠ اكتوبر ١٧٥٧	13 December 1754		عثمان الثالث	25
▪ Son of Ahmed III and Mihrimah Sultan; ▪ حكم حتى وفاته[28].		21 يناير ١٧٧٤	30 اكتوبر ١٧٥٧		مصطفى الثالث	26
▪ ابن أحمد الثاني و Rabiâ Sultan; ▪ حكم حتىوفاته[29].		6أو ٧ ابريل ١٧٨٩	21 يناير ١٧٧٤		عبد الحميد	27
▪ Son of Mustafa III and Mihrişah Sultan; ▪ **Deposed** in a Janissary revolt due to his reforms; ▪ **Assassinated** in Istanbul on 28 July 1808.[30]		29مايو ١٨٠٧	7ابريل ١٧٨٩		سليم الثالث	28

29	مصطفى الرابع		29مايو ١٨٠٧	28 يوليو ١٨٠٨		▪ Son of Abdülhamid I and Ayşe Sine (Seniye Perver Sultan); ▪ خلع في تمرد قاده Alemdar Mustafa Pasha; ▪ **Executed** in Istanbul on 17 November 1808.[31]
30	محمود الثاني		28 يوليو ١٨٠٨	1يوليو ١٨٣٩		▪ Son of Abdülhamid I and Nakşidil Sultan; ▪ Disbanded the Janissaries in 1826; ▪ حكم حتى وفاته[32].
31	عبد المجيد الأول		1يوليو ١٨٣٩	25 يونيو ١٨٦١		▪ Son of Mahmud II and Bezmialem Sultan; ▪ حكم حتى وفاته[33].
32	عبد العزيز		25 يونيو ١٨٦١	30مايو ١٨٧٦		▪ Son of Mahmud II and Sultana Pertevniyal; ▪ **خلع** على يد وزراؤه; ▪ **Found dead** (suicide or murder) five days later.[34]
33	مراد الخامس		30مايو ١٨٧٦	31 اغسطس ١٨٧٦		▪ Son of Abdülmecid I and Şevkefza Sultan; ▪ **خلع** بسبب مرضه; ▪ Ordered to reside in Çırağan Palacewhere he died on 29 August 1904.[35]

34	عبد الحميد الثاني		31 اغسطس ١٨٧٦	27 ابريل ١٩٠٩		▪ Son of Abdülmecid I and Tirimüjgan Sultan; ▪ Constitutional rule established, suspended then restored; ▪ **Deposed** after the 31 March Incident; ▪ Confined to Beylerbeyi Palace where he died on 10 February 1918.[36]
35	محمد الخامس		27 ابريل ١٩٠٩	3يوليو ١٩١٨		▪ ابن عبد المجيد الأول وگول‌جمال سلطان; ▪ Reigned as a figurehead until his death.[37]
36	محمد السادس		4يوليو ١٩١٨	1 نوفمبر ١٩٢٢		▪ ابن عبد المجيد الأول و Gülistan Sultan; ▪ **السلطنة ألغيت**; ▪ غادر اسطنبول في ١٧ نوفمبر ١٩٢٢؛ ▪ Died in exile on 16 May إيطاليا in Sanremo, 1926.[38]
حل الدولة العثمانية[e] (1922–1923)						

@iAbubader

—	عبد المجيد الثاني (خليفة فقط)		18 نوفمبر ١٩٢٢	3مارس ١٩٢٤	— [c]	▪ ابن عبد العزيز و Hayranıdil Kadınefendi;[39] ▪ أنتُخِب خليفة من قِبل الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا; ▪ نُفِي بعد إلغاء الخلافة؛[40] ▪ توفي في باريس، فرنسا في ٢٣ أغسطس ١٩٤٤[41].

ع • ن • ت

سلاطين الدولة العثمانية حسب العصر

ما قبل التأسيس	سليمان شاه • أرطغرل غازي • دندار بك • گوندوغو باي • سنگر تگين • (گوندوز باي) الشقيق الأكبر لعثمان الغازي • (سڤجي باي) الشقيق الأكبر لعثمان الغازي.
النهوض(1299–1453)	عثمان الأول • اورخان غازي • مراد الأول • بايزيد الأول • محمد الأول • مراد الثاني • محمد الثاني
النمو(1453–1683)	بايزيد الثاني • سليم الأول • سليمان الأول • سليم الثاني • مراد الثالث • محمد الثالث • أحمد الأول • مصطفى الأول • عثمان الثاني • مراد الرابع • إبراهيم الأول • محمد الرابع
الركود(1683–1827)	سليمان الثاني • أحمد الثاني • مصطفى الثاني • أحمد الثالث • محمود الأول • عثمان الثالث • مصطفى الثالث • عبد الحميد الأول • سليم الثالث • مصطفى الرابع • محمود الثاني
التراجع(1828–1908)	عبد المجيد الأول • عبد العزيز الأول • مراد الخامس • عبد الحميد الثاني
التفكك(1908–1923)	محمد الخامس • محمد السادس • عبد المجيد الثاني

@iAbubader



أخبر موظفو القصر، السلطان سليمان القانوني باستيلاء النمل على جذوع الأشجار في قصر "طوب قابي".. وبعد استشارة أهل الخبرة خلص الأمر إلى دهن جذوعها بالجير.. ولكن لم يكن من عادة السلطان أن يقدم على أمر من دون الحصول على فتوى من شيخ الإسلام.

فذهب إلى أبي السعود أفندي بنفسه يطلب منه الفتوى، فلم يجده في مقامه؛ فكتب له رسالة شعرية يقول فيها:

(إذا دب النمل على الشجر؛ فهل في قتله من ضرر).

فأجابه الشيخ حال رؤيته الرسالة بنفس الأسلوب قائلًا:

إذا نصب ميزان العدل غدا؛ يأخذ النمل حقه بلا خجل).

وهكذا كان دأب السلطان سليمان.. إذ لم ينفذ أمرًا إلا بفتوى من شيخ الإسلام أو من الهيئة العليا للعلماء في الدولة العثمانية.

ثم توفي السلطان في معركة "زيكتور" في أثناء سفره إلى فيينا؛ فعادوا بجثمانه إلى إسطنبول.. وفي أثناء التشييع؛ وجدوا أنه قد أوصى بوضع صندوق معه في القبر.. فتحير العلماء وظنوا أنه مليء بالمال، فلم يجيزوا إتلافه تحت التراب وقرروا فتحه.. فأخذتهم الدهشة عندما رأوا أن الصندوق ممتلئ بفتواهم.

فراح الشيخ أبو السعود يبكي قائلًا:

لقد أنقذت نفسك يا سليمان، فأي سماء تظلنا، وأي أرض تقلنا إن كنا مخطئين في فتاوينا.

حريم السلطان.. مسلسل تركي شغل العرب وملأ أوقات راحتهم وسهراتهم؛ بل وأحاديثهم الأسرية والاجتماعية، وانشغلت به كذلك الصحافة العربية عمومًا، وزاد الهوس عند رجال ونساء العرب، كل حسب ما يحب، فالرجال يعشقون النساء والجمال، والنساء تعشق الأزياء والرومانسية، وكل يبرر أو بالأحرى يواري عشقه بادعاء أن المسلسل تاريخي.

إذا كان المسلسل تاريخيًا بحق؛ فماذا قال عنه الأتراك في صحفهم؟ وماذا قال في حقه رجب طيب أردوغان؟ وما عدد الشكاوى التي قدمت ضده؟ وهل ينقل المسلسل صورة حقيقية عن واقع حياة أعظم سلاطين العثمانيين؟



